العرب قادمون

# المغامرون الستة
# و
# سر اختفاء العجوز

تأليف
محمد فتحى صبرى

رسوم
أحمد شوقى

جرافيك
شريف محمد

ما إن تشرق الشمس على حي الجمالية العتيق في الصيف، حتى يخرج أهل الحي جميعًا إلى أعمالهم لا يلبث بعد ذلك أن يخرج أبناؤهم لتمضيه أيام إجازتهم السنوية..

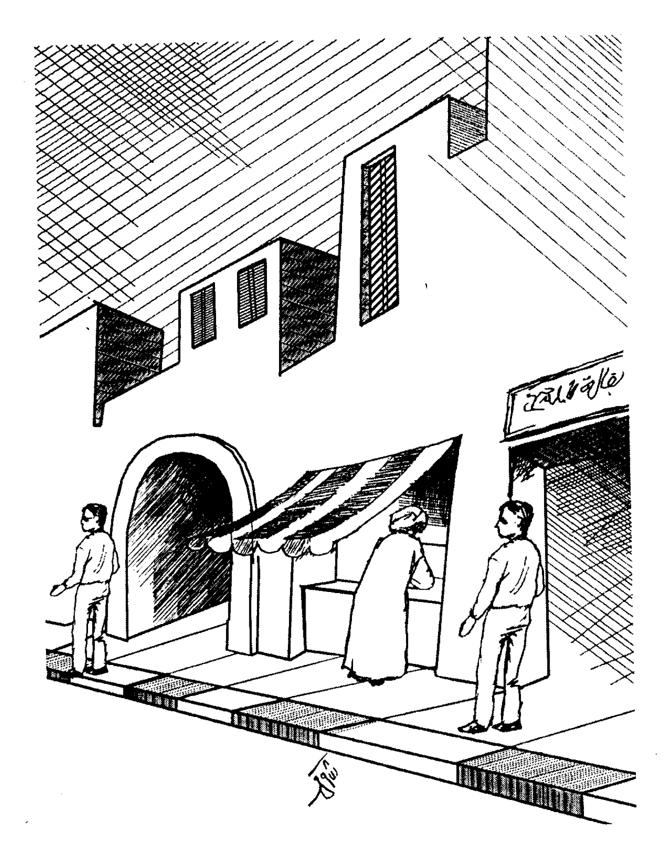
كان معظم هؤلاء الأولاد يخرجون للعب الكرة في الشوارع ومراكز الشباب، وبينما يعكف البعض منهم على الجلوس أمام شاشات أجهزة الكمبيوتر والدخول على شبكة الإنترنت وبرامج الألعاب..

وكان والد حمدى الحاج فاضل تاجر التحف بخان الخليلي يسمع كثيراً من صديقه الصيدلي بأن ابنه حمدى يقضي بصيدليته طوال يومه يسأل عن الأدوية، وكان هذا يسبب قلقًا للأب، وتزداد خشيته على ابنه من هوايته العجيبة هذه، ويقول لزوجته في حيرة:

إنني أتعجب من هواية ابننا العجيبة هذه يا سعاد.. فهل يوجد فتى في الدنيا يهوي تركيب الأدوية والأمراض التي تعالجها.

ويتوقف في حيرة، ثم يهز رأسه ويقول في قلق:

إنني أخشى أن يكون الولد قد أصابه جنون..



حى خان الخليلى أثر تاريخى عتيق من آثار القاهرة

بيد أنه حدث ذات يوم أن أصيب الحاج سعد.. صديق والد حمدي بمرض، فذهب الأب لزيادته وصحب معه ابنه حمدي، وقد وجدا هناك عددًا كبيراً من أهل الخان يجلسون حول فراش المريض.. وبينما كانوا يتحدثون، لفت نظرهم جميعًا أن حمدي كان مشغولا عنهم طوال الوقت بقراءة "الروشتات" التي كتبها الأطباء للحاج سعد، ونتائج الفحوصات، ثم فوجئوا به يلتفت إلي الحاج سعد ويقول وهو يمسك بزجاجة دواء في يده:

لا داعي لأن تتعاطى هذا الدواء يا عم سعد.

فنظر إليه الجميع في دهشة، وسرت بينهم نظرات وابتسامات ساخرة من هذا الفتي الصغير، فسأله الحاج سعد بلهفة لا تخلو من التهكم:

ولماذا يا دكتور؟؟

ولكن لم يعبأ حمدي بسخريتهم، وأجاب وهو يلوح بتقرير كان يمسكه بيده الأخرى:

لأن هذا الدواء له آثار جانبية، فهو ضار على الكلي، لأن هذا الدواء يسبب اختلال بسيط في وظائف الكلي، فتدخل أحد الجالسين وقال بطريقة يمزج فيها الجد

بالسخرية:

وبماذا تنصحه إذن؟

ففوجئوا جميعًا بحمدي يتناول قصاصة صغيرة من الورق، ويكتب عليها اسم دواء، ويقدمها للحاج سعد وهو يقول بلهجة جادة:

هذا أفضل دواء لحالتك يا عمي.

فتبادل الجميع فيما بينهم نظرات ساخرة، إلا أنه لم يمض سوى يومين فقط، إذا بالحاج سعد يشعر بتعب مفاجئ، فذهب إلي طبيب كبير مشهور، فلما قام الطبيب بفحصه، وقرأ نتائج التقارير السابقة فوجئ الحاج سعد بالطبيب الكبير يكتب له نفس الدواء الذي كتبه الفتي الصغير حمدي فاضل، فأخبر الحاج من زاروه من أهل الحي بما حدث، وهو في دهشة وإعجاب شديد بحمدي، فظل الناس ينظرون إلي حمدي بانبهار، وتوقع له الجميع أن يكون عالمًا نابغًا في الصيدلة.. وخاصة أنه قد حصل في المرحلة الأولي من الثانوية العامة على مجموع كبير، فتوقع له الجميع أن يحصل في المرحلة الثانية على نفس النتيجة، ليلتحق بكلية الصيدلة التي يعشقها، بيد أنه

قبل امتحان المرحلة الثانية بشهرين، أصيب حمدي بنزلة برد، وتناول العلاج اللازم، ولكن حدث أن أرسل إليهم صاحب محل العطارة المجاورة لمنزلهم بعض أعشاب التليو لكي تسرع بشفاء حمدي إلي جانب الأدوية..ولكن لم يكن العطار ولا أحد يعرف أن العشب قد تعرض لبعض البكتريا الضارة، فنجم عن ذلك إصابة حمدي بالتهاب رئوي حاد، جعله يمضي الشهرين الباقين بأكملهما وهو يعاني من شدة المرضي، فلم يستطع معه قراءة كلمة واحدة، حتى حان ميعاد الامتحان النهائي، فأسفر ذلك عن حصوله على مجموع متوسط.. فضاع أمله في الالتحاق بكلية الصيدلة التي لا يعشق سواها.. فاعتراه حزن شديد، وحزن أبواه على فشل ابنهما في تحقيق آماله.. وجعل أهل الخان جميعًا يزورون شقة الحاج فاضل لمشاركته أحزانه، فقد كان الجميع يحبون الحاج فاضل..

وذات يوم قرأ حمدي إعلانًا بإحدى الجرائد عن كلية صيدلة تأسست حديثًا، تطلب أن يلتحق بها عدد من الطلبة الحاصلين على الثانوية العامة بحد أدني سبعين

فى المائة ولكن لا يقيد الطالب بهذه الكلية إلا لو اجتاز مجموعة من الاختبارات تبين مدي استعداده لدراسة علوم الصيدلة..

فما إن قرأ حمدي الإعلان، حتى سارع بالسفر إلي مكان الكلية والمقامة في منطقة بين مدينتي مرسي مطروح والعلمين.. وكان حمدي طوال الوقت يخشى أن يكون الأمر مجرد خبر في صحيفة، إلا أنه ما إن وصل إلي مكان الكلية، حتى وجد مئات العمال مشغلين تمامًا في إنهاء الأبنية الخاصة بالكلية، بينما كانت الشاحنات تحمل صناديق ضخمة تحوى الأجهزة والمعدات الخاصة بالمعامل.. ولما سأل موظفي الإدارة بالكلية.. عرف أن هذه الكلية ستجري ثلاثة اختبارات في غاية الصعوبة للراغبين في التقدم.. من يجتازها يلتحق بالكلية.. وهي كلية صيدلة يدرس فيها الطلاب الأدوية التي تستخرج من النباتات الطبية، من خلال أحدث الأجهزة العلمية، وإن الجهة التي تنفق عليها هي الدول العربية جميعًا.. ولذلك فقد نجح في اجتياز اختباراتها أربعمائة وعشرون طالبًا من جميع الدول العربية.. ويتبقى فقط عشرون

مكانًا للطلبة المصريين.
وبالرغم من أن الطالب في هذه الكلية يتكلف مائة ألف جنيه سنويا، إلا أن الكلية لا تحصل منه سوي عشرة آلاف جنيه فقط في السنة، وإن من يتخرج من هذه الكلية سوف يلتحق فورا بالعمل بالبلاد العربية بأعلى المرتبات.
وكان الإعلان الذي نشر قد أثار دويًا بين الطلبة في مصر، حيث تقدم للاختبار ما لا يقل عن عشرة آلاف طالب، وكان حمدي فاضل على رأس المقبولين بالكلية.
فلم يصدق حمدي نفسه، وكاد يطير من الفرحة، فلقد التحق بالكلية التي يعشقها..
وما إن علم والده بالخبر وهم في شقة رشاد، حتى أخذ يردد في ذهول:
إنني أشعر وكأنني في حلم ابني حمدي يحقق حلمه بين يوم وليلة..
وقالت زوجته سعاد وهي ترتجف من قمة رأسها إلي أخمص قدميها من المفاجأة:
لقد عوض الله ابني عن مرضه الذي أعاقه عن تحقيق أمله.

وفى معسكر الالتحاق بالكلية تعرف حمدي على طلال السعودي الجنسية، وجاسر اللبناني أثناء توقيع الكشف الطبي قبل الالتحاق بالكلية.. لم تمر إلا عدة أيام على وجودهم في بيت الطلبة، حتى صار جميع الأولاد أصحابًا، وأصبحوا لا يطيقون فراق بعضهم البعض لدقائق معدودة، وكانت جميع الفتيات واللاتي يمثلن نصف عدد الطلاب محتشمات.. ووقع اختيار حمدي على الشقة التي تجمعه مع طلال وجاسر، وأنضم إليهم وليد القطري الجنسية.. ولم تمر إلا عدة أيام حتى كان يزور حمدي ورفاقه في الشقة والد طلال، والذي يسمى سلطان الغنيمي، حيث جاء إلي مصر ليقوم باستثمار أمواله في مدينة العلمين، فلما تعرف على أصدقاء ابنه الثلاثة وجيرانه أيضًا في شقته، واطمأن لهم، وأمضي معهم يومًا كاملا، فظهر لهم أنه رجل سمح يحب النكات والدعابة رغم هيبته.. وتعلق الرجل بحمدي كثيراً، ولما عرف أن والده يملك متجرًا بحي خان الخليلي قال في اشتياق:

يا لها من مصادفة، لكم كنت أتمني رؤية الخان.. فهو يمثل أغلي ثروة أثرية عربية.

فقال حمدي في رجاء ولهفة:

والله يا عمي.. إنني أتمنى أن تزورنا أنت وطلال وجاسر ووليد لقضاء عدة أيام بالقاهرة، لمشاهدة الخان، والأحياء المجاورة، فإن ذلك يدخل السرور على والدي جدًا.

قال الشيخ سلطان معتذرًا:

ولكن ليس الآن يا بني، فجدول أعمالي مشغول لعدة أسابيع، ولكنني أعدك بأن أتي لزيارتكم مع أول إجازة لي..

ومع مضي عدة أيام أخري كانت الأجهزة والمعدات قد وضعت في المعامل، فلما وقعت عيون الطلبة عليها بعد تركيبها لم يصدقوا الذي أمامهم.. فقد وضح أن المعامل تحوي أحدث أجهزة في العالم..

وعلموا أن لكل طالب حاسب وجهاز لتعليم اللغات.. وأمام الطلبة مئات الأفلام التعليمية..

وعلق وكيل الكلية اللبناني، وهو يراقب العمال وهم يحملون صناديق الكتب الخاصة بمكتبه الكلية:

توجد مكتبة تحوي كل ما صدر عن علم الأدوية



إن الكلية تتميز بوجود أعظم أساتذة من العلماء العرب

والنباتات الطبية إلي جانب كتب الطب والكيمياء والأحياء وغيرها.. حيث سيكون التعليم ذاتيا.. أي سيقضي الطالب في المعمل أربع ساعات كاملة وساعات طويلة أخرى في مكتبة الكلية، أما باقي اليوم فيقضيه أمام شبكة الإنترنت.

فسأله طالب أردني في دهشة : ولكن من يلقي المحاضرات، ومن يعطي الدروس في الفصول؟

فافتر ثغر الوكيل عن ابتسامة واسعة وقال:

إن الكلية تتميز بوجود أعظم أساتذة من العلماء العرب المهاجرين إلي الخارج، وإلي جانبهم أقوى مستوى من المعيدين، أما المحاضرات وطريقة التدريس فتسودها المحاورات الدائمة بينهم وبين الطلبة.

فعقب على ذلك عضو بهيئة التدريس في تأكيد قائلا:

ولا تنسوا يا أبنائي أبدًا أنكم طلاب لأول كلية تجمع نخبة من أبناء العرب في دراسة واحدة، والذين سيعدون لأن يكونوا علماء المستقبل في الصيدلة..

فما إن سرى هذا الكلام بين جميع الطلبة، حتى راودهم إحساس بالفخر والحماسة.. وما إن أوشك شهر التعارف

على الانتهاء، حتى نجحت خطة عميد الكلية، فقد صار الطلبة والطالبات وكأنهم يعرفون بعضهم البعض منذ الطفولة، ولا يستغني أحدهم عن الآخرين، فعاش حمدي بينهم وكأنه في حلم.. حتى جاءته مكالمة على تليفونه المحمول من والده يطلب منه الحضور فوراً.. فتعجب حمدي، ولكنه سرعان ما أقنع نفسه بأن أسرته تتشوق إلي رؤيته، ليقضي بينهم يومًا أو يومين قبل أن يبدأ العام الدراسي، فاستأذن من أصدقائه طلال وجاسر ووليد، وبادر بالسفر مباشرة..

إلا أنه ما كاد يصل، حتى فوجئ بوالده يبادره قائلا بصوت حزين:

يا حمدي يا بني لقد استدعيتك لأطلب منك طلبا كنت أتمني أن أموت ولا أطلبه منك يا بني..

فنظر حمدي إليه في دهشة، ولكن استأنف والده حديثه قائلا: نعم يا بني، فلقد طلبتك لأخبرك بأنك لن تستطيع الالتحاق بالكلية، وسنكتفي بإلحاقك بأي معهد متوسط في مصر، فكاد أن يغشى على حمدي من فرط المفاجأة..

×××

تسمر حمدي في مكانه وهو في حالة ذهول، وجعل ينقل عينيه بين أمه وشقيقته اللتين كانتا تجهشان بالبكاء، ثم سأل والده وهو لا يصدق:

لماذا، ما الذي حدث يا أبي؟

أطلق الأب زفرة عالية، وقال في أسى:

أنت تعرف يا ولدي أن تجارة (الأنتيكات) لا تعتمد في بيعها إلا على السائح الذي يأتى إلي مصر.. ولكن، ومنذ عدة سنوات بدأت أعداد السياح التي تزور الخان تنخفض، حيث صار معظمهم يأتون مباشرة إلي القرى السياحية، والتي يتمركز معظمها في الغردقة وسفاجا وشرم الشيخ، أما السياحة الثقافية، والتي تقوم على مشاهدة الآثار فقد انخفضت كثيراً.

توقف قليلا ثم أردف:

ولذلك انخفضت زيارات السياح إلي الخان كثيراً منذ عدة سنوات، فسأله حمدي في ضيق وحيرة:

نعم أعرف هذا ولكن ما الجديد في ذلك يا أبي؟

ثبت الأب عينيه على ابنه وأردف:

لقد كنت يا بني ومنذ سنوات عديدة أعاني من هذه المشكلة، ولكنني كنت أعتقد أن هذا ظرف طارئ وسيزول، ولذا كنت أبذل قصارى جهدي لكي لا تشعر أنت وشقيقتك بهذه المشكلة، فلم أخفض مصاريفكما يومًا واحدًا، فاضطررت لذلك إلي بيع الورشة الملحقة بالمتجر لأنفق من ثمن بيعها علي البيت..

وسكت الأب وظل صامتًا لمدة خالها حمدي دهرًا، وبعدها أردف الأب قائلا بصوته الحزين:

ولكن مرت السنوات، ووجدت أن الظروف لم تتغير، بل تزداد سوءًا، فشرعت في بيع متجري نفسه لكي أنفق منه على رسوم كليتك ومصاريفك بها إلي جانب مصاريف شقيقتك، ولكني يا بني عندما عرضت المتجر للبيع، فوجئت بأن سعره قد انخفض جدًا لانخفاض إقبال السياح عليه.

فتدخلت الأم، وقالت في صوت متهدج، وهي تغالب البكاء:

ولذلك وجدنا يا بني أنه لا يوجد أمامنا حل سوى أن تلتحق بمعهد أو كلية هنا لا تتطلب رسومًا كبيرة.

فقال حمدي رغمًا عنه وهو يبتلع أنفاسه بصعوبة من فرط الحزن:

ولكن أنا لا أحب دراسة شيء يا أمي سوى الصيدلة، وأنتم تعرفون مدى عشقي لدراستها.

قال والده في حسم:

ما دمت لا تحب يا بني سوى دراسة الصيدلة ولا نستطيع نحن الإنفاق على دراستك بهذه الكلية الجديدة، فأفضل حل هو أن تعيد الثانوية العامة لتلتحق بكلية الصيدلة المجانية هنا.

وقع الخبر على حمدي كالصاعقة، فتهاوي على أقرب مقعد وهو في حالة من اليأس الشديد وظل لعدة أيام قابعًا في فراشه لا يفارقه..

وكان خبر عودة حمدي من الكلية لكي يعيد الثانوية العامة قد انتشر بين أهل الخان، فحزنوا جميعًا كما يحزنون على أبنائهم.. فقد كان الكل يتوقع له أن يكون عالمًا في الصيدلة إلا رشاد وزوجته، فلم يصدقا أنفسهما من شدة الفرحة..

ومرت عشرة أيام على ترك حمدي للكلية، حاول خلالها

حاول اصدقاء حمدى الاتصال به ولكن لم يستطيعوا

طلال وجاسر ووليد الاتصال به مرارًا من بيت مساكن الطلبة بالكلية، ولكنهم كانوا يفاجئون بتليفونه المحمول مغلقًا دائمًا، وكان العديد من الطلبة والطالبات من زملائه بالكلية كلما يمرون على الشقة التي يوجد بها حمدي بمساكن الطلبة ويسألون عنه ويفاجئون بأنه لم يعد بعد، يصابون بالحيرة حتى أقبل العام الدراسي ولم يعد حمدي فازداد قلق الجميع عليه.

قال جاسر متوجسًا:

إنني أخشى أن يكون قد أصابه مكروه.. فهل يمكن أن يظل في منزلهم والدراسة بدأت منذ أيام..

فأومأ طلال برأسه مؤكدًا وقال:

فعلا يا جاسر إنه لأمر يدعو إلي الخوف عليه..

أطرق وليد يفكر لوهلة، ثم قال:

اسمعوا.. إن بعد غد عطلة الجمعة، فما رأيكم لو حصلنا على عنوانه من مكتب شئون الطلبة بالكلية ونسافر إليه.

وما إن أقبل يوم الجمعة حتى كان ثلاثتهم يركبون سيارة في طريقهم لمقابلة حمدي.

وما إن فوجئ حمدي بأصدقائه الثلاثة، حتى أجهش بالبكاء من شدة الحزن، فلما عرفوا منه ما حدث، أنتابهم جميعًا شعور بالحزن الشديد لدرجة، أنه لم يستطع أحدهم تناول شيء من الطعام الذي قدمه لهم حمدي، بالرغم من أنهم كانوا يشعرون بالجوع قبل وصولهم.

وخيم الحزن والصمت على الجميع لمدة، ولكن قطع طلال الصمت فجأة وقال وقد مر بذهنه خاطر:

حمدي لقد توصلت إلي حل لمشاكل والدك.

فنظر حمدي إليه غير مصدق، ولكن أردف طلال قائلا:

نعم حل لن يجعل السياح تأتي لشراء التحف من متجر والدك فقط، ولكن ستتاح الفرصة لكل إنسان في العالم أجمع ليشاهد معروضات والدك ويشتري منها الآلاف..

فلما رأى الذهول على وجوه الجميع وسأله جاسر وسط ذهوله:

وكيف؟

قال طلال كمن يطلق أخطر خبر.

شبكة الإنترنت.

أخذ الجميع يحدقون في وجه طلال لمدة، وقد علت

وجوههم الدهشة الشديدة، وسأله حمدي وهو لا يصدق:

ماذا تقول يا طلال.. إن مشكلتي ليس لها حل، فهي أكبر من أن يحلها فرد، بل ولا حكومة بأكملها، فمتجر والدي لا يصلح إلا لتجارة التحف فقط، وبيعها يتوقف علي السياح المترددين على الحي، وقد انخفض عددهم لأن معظمهم أصبح يأتي من بلده توا إلي القرى السياحية في السواحل.

يبد أنه فوجئ بطلال يومئ برأسه موافقًا ويقول:

نعم الحل فى شبكة الإنترنت..

فسأله وليد وقد ازدادت حيرته:

وماذا سيفعل الإنترنت إذن؟ هل نستطيع أن نأتي عن طريقة بسياح إلي مدينة القاهرة ليقوموا بزيارة الخان للشراء؟

ولكنهم فوجئوا بطلال يعترض ويقول في ثقة وتحد:

ومن قال إنني سأعرض بضاعة والد حمدي على السياح، بل سأعرضها على الناس في جميع أنحاء العالم، وذلك الأمر في غاية السهولة من خلال شبكة الإنترنت.

ردد حمدي في حيرة ودهشة شديدة:

شبكة الإنترنت.. شبكة الإنترنت معقولة...

أردف طلال بلهجة من يشرح درسًا:

نعم فعن طريق شبكة الإنترنت تستطيع أن تعرض السلعة التي تتجر فيها على ملايين، بل مئات الملايين، فكل منهم سيشاهد بضاعتك وهي تعرض على شاشة حاسبه، بل ويشترى منها ما يعجبه، حتى لو كان هذا المشتري يجلس أمام شاشة حاسبه في استراليا أو كندا أو الهند..

ثم شرع طلال في توضيح فكرته قائلا:

الإنترنت عبارة عن مجموعة ضخمة من الشبكات المصغرة، يدير كل منها حاسب ما ذو قدرات عالية، وهو ما يطلق عليه الخادم أو بالإنجليزيةserver.

وكل شبكة مصغرة أو حاسب خادم من تلك الحاسبات، يمكن مجازًا أن يطلق عليه موقع أو كلمة مختصرة اسمها web site

وهذه المواقع منتشرة في أرجاء الأرض.

صاح حمدي فجأة:

لقد فهمت الآن لطالما سمعت عن كلمة موقع..

فأردف طلال قائلا:

والموقع هو الوسيلة الأساسية لعرض المعلومات على هذه الشبكة الجبارة..

جعل حمدي يفكر فيما استوعبه قليلا، ثم تساءل:

ولكن مم يتكون الموقع.. أريد أن أتصوره؟

طلال:

الموقع يتكون من عدد من الصفحات الإلكترونية كاملة النصوص والأشكال وأحيانًا الصوت والصورة أيضًا..

ردد حمدي في دهشة:

غريبة صفحات إلكترونية؟!

طلال:

نعم فهي صفحات تماثل نفس الصفحات التي تجدها على الورق في كتاب عادي، إلا أنه بدلا من تقليب الصفحات كي تصل إلي ما تبتغيه، فإنك تشير بالفأرة على وصلة فائقة، والتي ستطير عليها بسرعة البرق في أجواء الموقع.

أطرق حمدي يفكر لمدة، ثم قال:

لقد استطعت الآن التوصل إلي فكرتك يا طلال في كيفية الاستفادة من الشبكة في تسويق التحف التي في متجر

والدي، والتي يمكن إنتاج العديد منها عن طريق الورشة الموجودة في الحي.. وذلك بأن تحول التحف المعروضة بواجهة المحل على موقع بعرضه على شاشة الحاسب.

وأسرع وليد وأخذ حاسبه وقال وهو يناوله لحمدي:

هذا حاسبي المحمول سأعيره لك لمدة ستة أشهر حتى ينتهي العام الدراسي.

ولم يطرق النوم جفون حمدي منذ أن توصل إلي هذا الحل.. وجعل لا يفكر في شيء سوي إنقاذ والده وما إن سطع ضوء فجر اليوم التالي، حتى وجد طلال قد استيقظ، وشرع في تصميم وإنشاء الموقع على الحاسب.

وبينما كان حمدي يتحدث مع أصدقائه طلال وجاسر ووليد، وإذا بجرس المحمول الخاص بطلال يرن، فما إن رد علي المكالمة، إذا بوجهه يتغير فجأة وظهرت عليه أمارات دهشة ممزوجة بفرحة، فما إن أنهي المكالمة، حتى التفت إلي حمدي وقال:

مبروك يا حمدي..

ردد حمدي في دهشة:

مبروك ماذا حدث؟

قال طلال:

عندما خرجت لتتحدث مع والدتك في الصباح، اتصلنا بإدارة الكلية، وأخبرناهم بما حدث لك، مما أدي إلي اضطرارك ترك الدراسة بالكلية، فاتصل سكرتير الكلية الآن، ليبلغك بأن الإدارة قررت على الفور أن تعفيك من الرسوم طوال السنوات الدراسية.

فكاد حمدي يقع مغشيًا عليه من فرط الفرحة.. وأسرع بإبلاغ والديه وشقيقته بما حدث، فأجهشت أمه وشقيقته بالبكاء من فرط فرحتهما. أما والده فقد ظهر أنه قد راح في صراع بين فرحته بعودة ابنه إلي الكلية، وبين حيرته من أمر حال متجره.

ولم يطرق النوم جفون حمدي من فرط السعادة الغامرة بعودته إلي الكلية التي يعشقها عشقًا، ولكنه رغم ذلك ازداد قلقه على والده، وجعل يفكر لمدة طويلة في الحل الذي عرضه طلال لإنقاذ تجارة والده، وراح طوال الطريق إلي الكلية يحدث طلالا على عمل الموقع الخاص بمتجر والده على الحاسب.. فعكف طلال عدة أيام على العمل حتى استطاع أخيراً عمل الموقع الذي ستعرض عليه

جميع تحف متجر والده، ووافي جاسر طلالا نسخة فيلم لخان الخليلي والمناطق الأثرية التي حوله..

ولم يلبث أن عاد الأصدقاء مع حمدي مرة أخري لتصوير المتجر والتحف الموجودة به.. فتزاحم أهل المنطقة إثر دعوة الحاج فاضل لهم ليشاهدون البضاعة وهي تعرض على شاشة الحاسب بطريقة شديدة الجاذبية.. فتعرض صورة عامة لحي خان الخليلي، والمناطق الأثرية التي حوله.. ثم تدخل الكاميرا ببطء علي الخان، ثم تقوم بجولة عامة في محلات الحي.. حتى تنتهي إلي محل الحاج فاضل، فتظهر التحف التي يحتويها بطريقة تجعل المشاهد وكأنه يدخل المتجر بنفسه، ويقلب التحف بيديه.

فصاح أحد التجار في إعجاب شديد:

يا لها من طريقة مبهرة.. إنها ستجعل من لا يقبل على شراء التحف يقوم بشرائها وبأي ثمن.

ثم عاد الأصدقاء آخر اليوم إلي مكان إقامتهم بمساكن الطلبة بالكلية، وكان حمدي في غاية السعادة، بعدما اكتمل العمل بالموقع، وأضافوا إليه رقم حساب جديد

لكروت الائتمان، وبعض البيانات والشروط للبيع.

بادر طلال حمدي قائلا عند جلوسهم:

من الآن يا صديقي ستنهال الطلبات على متجر والدك، فكل فرد يجلس أمام حاسبه ويبحث عن الإعلانات، سوف يجد أمامه موقع متجر والدك، فيقوم بمشاهدة العرض..

وقال وليد معقبًا في حماسة:

لو فرضنا أن واحدًا في المليون من المشاهدين سيقوم بالشراء.. سنضمن بذلك أن حوالي خمسمائة فرد سيشترون من المحل سنويًا.

ولكن كان جاسر مطرقًا لمدة، وفجأة بدا له شيء، فتساءل في حيرة شديدة:

هناك نقطة لم نضعها في الاعتبار، ولكنها في غاية الأهمية، فسأله حمدي في قلق ولهفة:

نقطة هامة لم نضعها في الاعتبار ما هي؟

جاسر:

إننا لم نضع في الاعتبار أن السائح عندما يأتي إلي مصر، فإنه عندما يشتري التحف من المحل، لا يدفع أي مصاريف

إضافية عليها.. فهو لن يسدد ثمن المواصلات لأنه يكون أصلا في زيارة للمنطقة.. ولن يدفع أيضًا مصاريف الشحن من مصر إلي بلده، لأنه سيأخذ ما يشتريه معه.

وتوقف وراح ينقل نظراته بين الجميع، ثم أردف قائلا:

أما الفرد الموجود في دولة أخرى، ويريد شراء إحدى التحف، فإنه سيدفع بالإضافة إلي ثمنها مصاريف بنكية، ومصاريف شحن من مصر حتى مسكنه في بلده.. فهذا سيؤدي بلا شك إلي ارتفاع ثمن السلعة، فقد تصبح ثلاث أضعاف قيمتها لو كانت سلعة رخيصة؟

علق وليد غير مصدق:

فعلا هذا بالإضافة إلي أن تكلفة الموقع ستحمل على قيمة السلعة أيضًا.

فصاح طلال في هلع شديد:

معني ذلك أن المشروع قد فشل تمامًا..

فكاد قلب حمدي يتوقف من فرط الصدمة

× × ×

شعر حمدي أن الموقف قد تعقد تمامًا، وأن الأمل الوحيد في نجاة أسرته قد ضاع، إلا أنه رغم هذا الشعور، فإن فكرة ومضت فجأة أمام مخيلته، فهتف في الجميع قائلا :

طالما أن الشحن وتكلفة الموقع وغيرها من المصاريف، ستجعل ثمن السلعة مرتفعًا على المشتري إذا كان من دولة أخري، فلماذا لا نتعامل مع تجار الجملة في هذه التحف والموجودين في كل دول العالم؟

فهلل وليد بالفكرة وأردف قائلا :

فعلا فشراء تاجر الجملة للبضاعة بكميات كبيرة، يؤدي إلي خفض ثمن شحن السلعة، كما أن تكاليف الموقع بدلا من أن يتم تحميلها على مبيعات قليلة محدودة، فإنها ستحمل على مبيعات بكميات كبيرة، فستنخفض التكلفة حتى تصل إلي سعر أقل مما يشتري به السائح السلعة من الخان نفسه.

فكر طلال في الأمر، ثم أومأ برأسه موافقًا وقال :

إنه من خلال شبكة الإنترنت توجد البرامج التي توصلنا إلي الجمعيات التي تضم التجار الذي يتعاملون في

تجارة (الانتيكات) وعناوينهم، وبذلك يمكن إرسال رسالة بالبريد الإلكتروني لكل تاجر من هؤلاء نخطره فيها ببيانات الموقع، ونوعية السلع.. فنكتب رسالة واحدة ونرسلها إلي الجميع.

فتنفس حمدي الصعداء أخيراً، وذهب في اليوم التالي إلي الكلية.

وفي اليوم التالي استدعاه رئيس شئون الطلبة إلي مكتبه، فظن حمدي على الفور أن الرجل طلبه ليخبره بالأمر الذي أصدرته الكلية، ولكنه ما إن وصل إلي المكتب حتى فوجئ بالرجل يبادره قائلا وهو يمد يده ليناوله ورقة صغيرة.

هذه إيصالات تفيد بسداد مصاريف الكلية طوال الخمس سنوات، فصاح حمدي في دهشة شديدة:

إيصال سداد؟ ولكن المجانية؟

ولكن فوجئ بالرجل يقول غير مصدق:

مجانية؟ ماذا تقول يا بني.. لا توجد في لوائحنا إعفاءات لأي طالب مهما كانت الظروف.

فسأله حمدي وهو لا يصدق:

ولكن هذه إيصالات سداد المصروفات عن الخمس سنوات..

فأجب الرجل في حيرة:

نعم لأن الشيخ سلطان هو الذي سددها عنك.

فتسمر حمدي في مكانه وهو في ذهول تام..

فقد حدث أنه ما إن علم طلال بظروف والد حمدي، والتي جعلته يطلب من ابنه ترك الدراسة بالكلية، حتى أسرع بإبلاغ والده بالظروف التي حدثت لصديقه المصري حمدي فاضل، فما إن سمع الشيخ بذلك حتى اعتراه حزن شديد علي ما حدث، فقد أحب الشيخ حمدي، حتى صار لديه بمنزلة ابنه طلال، فقرر على الفور أن يسدد مصاريف الكلية لحمدي طوال سنوات الدراسة، فأرسل تحويل على البنك إلي الكلية.

ولكن قال جاسر لطلال عندما عرف بما حدث:

ولكنني أخشى لو عرف حمدي بأن والدك هو الذي سدد عنه المصاريف سيعتبر ذلك إهانة..

ففكر الجميع أثناء وجود حمدي خارج الغرفة، حتى خطرت لوليد فكرة فقال:

أن نخطر حمدي بأننا عرضنا الأمر على إدارة الكلية، فقرروا إعفاءه من المصاريف طول فترة الدراسة، ولكنهم اشترطوا أن يكون ذلك سرًا حتى لا يطمع العديد من الطلبة في نفس الإعفاء..

وكان حمدي بالفعل قد أدركه شعور شديد بالخجل عندما فوجئ بما حدث حتى أنه فكر في أن يترك الكلية ليعيد المصاريف التي سددها الشيخ.. بيد أنه ما إن تقابل مع جاسر، وأخبره بما حدث، حتى قال جاسر مهونًا الأمر:

اعتبر ذلك دينًا عليك لتسدده بمجرد تحسن أحوال والدك المالية، فأثلجت هذه الكلمات قلب حمدي، وخطر بباله أمر الإضافات التي توصلوا إليها للموقع، فاتصل بشقيقته "سميحة" التي فاجأته بقولها:

لقد أدرك أحد معارف والدي ذلك، فقام بعرض الموقع على تجار (الانتيكات).

فارتاح حمدي إلي ما حدث، ووجد نفسه يندمج أخيراً مع باقي زملائه.. وظل يواصل دراسته حتى اجتاز اختبار العام الدراسي الأول بتفوق، وحصل على المركز الأول علي جميع أفراد دفعته..

وكانت أخبار مشروع ولده توافيه بها شقيقته سميحة، فقد فوجئوا بالمشروع يحقق نجاحًا غير مسبوق، فلما اطمئن حمدي لهذا النجاح وانشغل بدراسته، لم يعد يتابع شيئًا.. وفور بداية الإجازة الدراسية أخذ أول قطار متجهًا إلي القاهرة ليمضي بها عدة أيام.

فوجئ حمدي عندما عاد إلي الخان أن تجارة والده تضخمت بشكل هائل خلال الستة أشهر فقط، حتى بلغت مبيعاته خلالها ستة ملايين جنيه، وإن مالا يقل عن مائتي عامل ماهر صاروا يعملون ليل ونهار، بل وهناك اتجاه لمضاعفة أعدادهم لملاحقة الطلبات العديدة على التحف الفرعونية والعربية.. والغريب أن أحد أصدقاء الحاج فاضل قد عرض نماذج مقاهى ومطاعم عربية على الموقع، وهي خاصة ببعض المحال، ولما لمس التجار النجاح الهائل الذي أحرزه الموقع، عرضوا على الحاج فاضل أن يؤسس شركة كبرى ويرأسها الحاج، ويشارك فيها جميع التجار.. وتتخصص في بيع جميع أنواع التحف التي يعرضها الخان بالإضافة إلي نماذج المقاهى والمطاعم والأثاث العربي الأصيل.. فوافق الحاج..

فلم يصدق حمدي ما حدث، فلقد صار والده من أصحاب الملايين فجأة..

فقال الحاج فاضل:

نحن تجار خان الخليلي لقد كنا نمتلك في الخان رؤوس أموال تقدر بما يزيد عن مائتين مليون جنيه مصري.. ولا ترد علينا هذه الأموال سوي أقل دخل ولكن منذ أن قام طلال بعرض فكرته بتحويل طريقنا إلي علم وفكر، صات دخولنا أعلي دخول والحمد لله.

كانت أخبار الشركة التي أنشأها والد حمدي مع التجار مطمئنة حيث راجت تجارتها، وقد فتح حسابًا مشتركًا يحول إليه العملاء من تجار (الانتيكات) حسابات مشترياتهم، كما استأجر مخزن أحد التجار وجعل منه ورشة كبيرة يعمل فيها أربعمائة عامل فني، ورغم هذا العدد، فإن كل منهم يعمل فترين كاملتين في اليوم حتي يغطوا طلبات العملاء، ومرت عدة أشهر أخرى.. كان العمل فيها في الكلية من أبحاث ومحاضرات وتجارب تستهلك وقت حمدي تمامًا.. حتى حان اختبار نهاية العام الدراسي، فاجتازه حمدي بتفوق.

ولكن وفجأة اتصل به أحد معارفه وبادره قائلا:

حمدي إنني لم أستطع الاتصال بك، لأن الموقف خطير جدًا..

فسأله حمدي في جزع:

ماذا حدث..

فجأة انطلق صوت الرجل على الطرف الآخر من السماعة:

لقد حدثت كارثة لم تكن في الحسبان أبدًا..

ندت عن حمدي كلمة واحدة:

كارثة..

قال الرجل في صوت مليء بالأسى:

نعم يا بني فلقد ضاعت كل أرصدة الشركة التي يديرها والدك والموجودة في البنك وقيمتها ثلاثمائة وخمسة عشر مليون جنيه.. فقد حدث أنه في أحد الأيام، تلقي الحاج فاضل مكالمة من شخص مجهول يقول: إن هناك شائعة أن البنك الأجنبي الذي يضع فيه أموال شركته على وشك إشهار إفلاسه بين يوم وآخر.. وبعد نصف ساعة من تلقي الحاج للمكالمة، أقبل عليه أحد التجار والمساهم

بحصة كبيرة في شركة الحاج، وقال إنه تلقي مكالمة تليفونية مثله.. ولم يلبث أن جاء شريك آخر ليخبرهم بأنه تلقي نفس المكالمة.. فاجتمع الشركاء جميعًا للتشاور في هذا الأمر الخطير، فبادر أحدهم قائلا:

ربما كان هذا الشخص المجهول الذي أخبركم بذلك يمزح.

فأطرق الحاج يفكر قليلا ثم قال:

لو كان هذا الشخص لا يريد لنا الخير، فما هي مصلحته في ذلك..

وبعد أن راح الجميع في نقاش طويل، تدخل المدير المالي للشركة ويدعي محمد النقيب قائلا:

عمومًا نحن لن نخسر شيئًا لو أودعنا هذه الأرصدة في بنك من البنوك المحلية، فلو كانت الشائعة صحيحة فنكون بذلك قد نجونا من الخطر، أما لو كان الأمر مجرد مزاح سخيف فنحن لن نخسر شيئًا..

فلم يجد الجميع بدا من هذا الحل فهو الأضمن.. وعلى الفور قام المدير المالي بفتح حساب جديد على البنك التجاري الوطني.. ولم تمض بضع ساعات فقط، حتى

وضع المدير المالي ورقة أمام الحاج فاضل وهي عبارة عن أمر من البنك الأجنبي بتحويل رصيد حسابه بالكامل والذي يبلغ ثلاثمائة وخمسة عشر مليون جنيه إلي الحساب بالبنك الجديد..

وتنفس الحاج فاضل الصعداء أخيراً فقد وضع بذلك أموال التجار جميعًا في الأمان!!

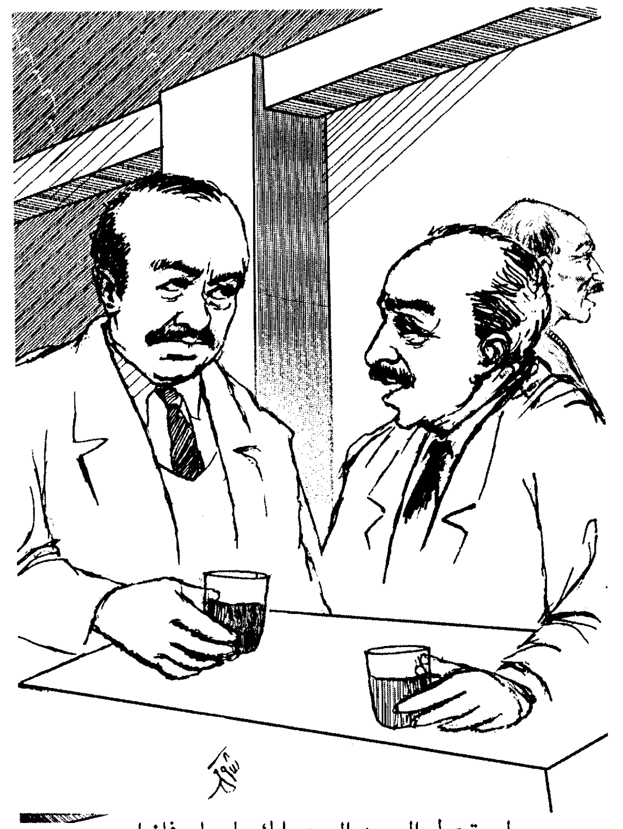
إلا أنه وبينما كان الحاج جالسًا في المقهى مع مجموعة من أصحابه في مساء اليوم التالي، إذا بأحد أصدقاءه القدامى يدعي عزت الجاهلي، يقبل فجأة فلما شاهده الحاج بادرة قائلا في دهشة:

عزت يا لها من مفاجأة أين أنت يا رجل لم أرك منذ ما يزيد عن عشرة أعوام.

ولكنه وبعد أن تبادل الصديقان القديمان عبارات الترحيب ببعضهما في حرارة.. وبعد أن قام الحاج بتقديم صديقه القديم إلي جميع الجلوس بالمقهى، إذا بابتسامة عزت تخبوا فجأة، ثم قال للحاج فاضل:

لقد جئت لزيارتك لأمر في غاية الأهمية يا حاج.

رد الحاج في دهشة:



لم يتحول الرصيد إلى حسابك يا حاج فاضل

أمر في غاية الأهمية خيراً يا عزت..

فاقترب عزت بمقعدة من الحاج، وقال بصوت أقرب إلي الهمس:

نعم لقد جئت إليك من طرف الأستاذ سيف الأنور رئيس مجلس إدارة البنك التجاري الوطني.

رد الحاج في دهشة:

من طرف الأستاذ سيف الأنور ماذا حدث؟

فقال عزت:

إنك لا تعرف أن الأستاذ سيف الأنور هو زوج شقيقتي الكبيرة..

ولما ظهرت علي وجه الحاج فاضل الحيرة، أردف عزت:

فعندما كنت أتناول الغداء في منزله اليوم، فوجئت به يتحدث في شأنك..

فازدادت حيرة الحاج وسأله في لهفة:

في شأني أنا، ماذا حدث بالضبط؟

صمت عزت لثوان ولم يجب، ولكنه اقترب بمقعدة أكثر من الحاج ثم قال في همس:

بشأن مبلغ قيمته ثلاثمائة وخمسة عشر مليون جنيه

الذى حولته صباح اليوم إلي أحد الحسابات البنكية..
فقال الحاج محاولا تصحيح المعلومة:
أحد الحسابات بالبنك التجاري ألا تقصد حسابي الذي فتحته حديثا بالبنك التجاري.
ولكن فوجئ بعزت يعترضه قائلا..
لا يا فاضل لم يتحول المبلغ لحسابك بل تحول إلي حساب عميلة بالبنك اسمها جميلة عبد اللطيف.
فانتفض الحاج فاضل واقفًا، وقال وهو لا يصدق:
ماذا تقول إن الرصيد محول إلي حسابي الجديد الذي فتحته باسم الشركة بالبنك التجاري الوطني..
فتسمر عزت في مكانه وظهر على وجهه الذهول وسط نظرات الجالسين بالمقهى الذي استمعوا إلي كل ما دار.
قال عزت وهو لا يصدق:
معني ذلك أنك أخطأت وحولت الرصيد إلي حساب آخر يخص عميلة بالبنك..
فتدخل أحد الجالسين رغمًا عنه قائلا في استهانة:
بالخطأ يا أستاذ.. وهل في ذلك مشكلة؟؟
ولكن غمغم عزت وهو لا يصدق:

إنها كارثة إن ذلك يعني أن الحاج فاضل أخطأ خطأ فادحًا، وضاع عليه بذلك ثلاثمائة وخمسة عشر مليون جنيه.

فتهاوي الحاج فاضل في مقعده مغشيًا عليه..

× × ×

ساد الذهول التام بين كل الجالسين حول الحاج في المقهى لمدة طويلة.. كانت عيونهم جميعًا على الحاج فاضل الذي تهاوي في مقعده فاقدًا للوعي من أثر الصدمة، ولكن أسرع إليه أحد الجالسين ويعمل طبيبًا وقام بعدة محاولات لإفاقته.. حتى أفلح أخيراً في إعادته إلي وعيه.. فتنفس الجميع الصعداء..

وما كاد الحاج يسترد وعيه، حتى سأل عزت في ذهول كيف حدث هذا يا عزت؟؟ فلقد حولت المبلغ من رصيدنا بالبنك الأجنبي إلي حساب الشركة الجديد بالبنك التجاري، فكيف تحول إلي حساب خاص بامرأة عميلة.

أطرق عزت يفكر في حيرة ثم بدا له شيء، فأدخل يديه في أحد جيوبه، وأخرج منه ورقة مطوية، وفردها وألقي عليها نظهر سريعة ثم قال:

ها هي صورة من رقم حسابك الذي فتحته بالبنك، وصورة من أمرك بتحويل المبلغ إلي نفس الحساب الموجود بإيصال الإيداع..

مد الحاج فاضل يده والتقط الورقتين وراح يقرأهما في

لهفة، فما إن انتهي من قراءتهما حتى تسمر في مكانه، وندت عنه صرخ، ثم قال وهو في حالة ذهول.

يا له من خطأ إن الخطاب الذي قدمه لي محمد النقيب المدير المالي للشركة لكي أقوم بتوقيعه مدون به رقم حساب بالخطأ..

وتوقف فجأة وتنفس في عمق، ثم قال وكأنه يحدث نفسه في ضيق: ماذا أفعل والمشكلة أنني سمحت للمدير المالي اليوم بالقيام بإجازة أسبوعًا بأكمله؟

وعن له شيء فجأة فالتفت نحو عزت، وسأله في حيرة ولهفة:

وما هو الحل يا عزت؟

كان عزت يترقب ما يحدث وقد بدت على وجه أمارات حيرة شديدة، وقال بلهجة من يمتثل إلي الأمر الواقع:

لا يوجد حل سوى أن تبلغ صاحبة هذا الحساب الذي تم تحويل رصيدك إليها، لأن هذا الرصيد الذي حولته إليها قد أضيف إلي حسابها، فهي الشخص الوحيد الذي يحق له أن يعطي البنك أمر كتابيًا بتحويل الرصيد مرة أخري إلي رصيدك.

فتدخل أحد الجالسين وسأل عزت وهو في حيرة من الأمر:

ولكن لماذا لا يقوم البنك بالتحويل إلي حساب الحاج فاضل ما دام يعرف أن الرصيد قد تم تحويله بالخطأ.

إلا أنه فوجئ بعزت يعترض قائلا:

لا، فالأمر الصادر من الحاج فاضل لبنكه الأجنبي بأن يحول إلي الحساب برقم بالبنك الجديد، ولم يذكر حتى كلمة حسابنا.. وكما تعلمون أن البنك ينفذ الأمر كما هو، فهو لا يملك الحق والسلطة في التحويل من حساب إلي آخر، إلا بأمر من صاحب الحساب أو من له حق التوقيع.

ومرت لحظات من الصمت الذي خيم على أنحاء المكان، وجعل الحاج خلالها يعاود قراءة رقم التحويل ويضاهيه برقم حسابه الذي فتحه بالبنك، ثم قال وهو لا يصدق:

غريبة إنه لا يوجد أي توافق بين رقم حسابنا بالبنك وورقة حساب هذه السيدة، فالأرقام كلها مختلفة تمامًا، والمصيبة كيف يقع مدير مالي ذو خبرة مثل محمد النقيب في هذا الخطأ الفادح، ولم يراجع الحساب جيدًا.

فقام أحد الجالسين من مكانه، وتناول الورقتين من يد الحاج، وجعل يمعن النظر فيهما، ثم قال في لهجة تأكيد:

لا يا حاج، فمن الواضح أن هذا الخطأ متعمدًا.

فندت عن الجميع صيحات استنكار ودهشة، فلم يصدق أحدهم أن يكون ذلك متعمدًا، ولكنهم فوجئوا بعزت يومئ برأسه مؤكدًا، ثم قال:

لقد راودني الشك فعلا في هذا الأمر، ولذلك يجب أن تسارع بعرض الأمر على المباحث لتحقق فيه.

فأسرع الحاج فاضل في صباح اليوم التالي إلي مكتب مباحث الجمالية، وما كاد رئيس المباحث يستمع إلي ما حدث، ويلقي نظرة فاحصة على الأوراق حتى رأى أن يعرض الأمر فورًا على النيابة.

فلما استمع وكيل النيابة إلي ما حدث وألقي نظرة بدوره على الأوراق، أصدر أمر فوريًا إلي البنك التجاري ليوفيه ببيانات صاحبة الحساب المحول إليه المبلغ، وقد طلب من البنك أن يتم ذلك في منتهى السرية، وبدون إخطار صاحبة الحساب بذلك.

والتفت الوكيل إلي الحاج، وطلب منه أن يرسل إليه المدير

المالي الذي ارتكب هذا الخطأ، ولكن الحاج أخبره بأنه في إجازة لمدة أسبوع قام بها بعد الانتهاء من إجراء التحويل، ولا يعرف أحد أين يقضي إجازته، فلا توجد له زوجة أو أولاد أو أقارب ليسألهم.

وبعد يوم واحد فقط، وصل إلي وكيل النيابة بيان عن المرأة صاحبة الحساب، وقد أوضح البيان أنها امرأة عجوز تخطت السبعين من عمرها، وقد أودعت بالبنك منذ شهرين فقط عشرين ألف جنيه.

فسأل الحاج الوكيل في لهفة: ولكن لماذا لا ترسل سيادتك في طلبها لتعرف منها الحقيقة؟

أطرق وكيل النيابة يفكر لمدة، ثم قال معترضًا:

يمكن أن يتم ذلك بسهولة ولكن..

فقاطعة الحاج في جزع:

ولكن ماذا؟؟

أجاب الوكيل وكأنما يحدث نفسه:

لكن لو كانت المرأة قد دبرت هذا الأمر مع المدير المالي، فهنا لن يجدى معها التحقيق، فمن المؤكد أنه في هذه الحالة سيكون لديها القدرة على أن تأتي بأكثر من حجة.

فانتفض الحاج واقفًا، وهو في حالة من الهلع الشديد، وجعل يحدق في وكيل النيابة وهو لا يصدق ما يحدث..

أطلق الوكيل تنهيدة عميقة وقال:

كل ما أستطيع عمله أن أعطي للبنك أمر بتجميد رصيد هذه المرأة، فلا تستطيع التصرف فيه لمدة قصيرة..

وحول عينيه إلي الحاج الذي كان واقفًا يرتجف من فرط الهلع ثم قال:

وسوف أطلب من رجال المباحث عمل التحريات عن هذه المرأة ومراقبة مسكنها، فعنوانها موجود لدي البنك..

فإذا كانت المرأة لئيمة وشاركت في تدبير المؤامرة، فمن المحتمل أن يظهر ذلك من خلال تحريات رجال المباحث عنها.

ومرت الأيام على الحاج فاضل هو وأسرته عصيبة قاسية، فلم ينم أحدهم خلالها سوي بضع ساعات خاطفة، وكان الحاج كلما فكر في الأمر يكاد يصاب بجنون.. وكان يتساءل بين حين وآخر.. كيف حدث هذا؟ وهل يمكن أن يكون محمد النقيب متعمدًا ذلك؟ فما هي مصلحته من وراء كل هذا؟؟

ومرت خمسة أيام عاشها الحاج ينتظر - وهو على أحر من الجمر- ما ستسفر عنه تحريات رجال المباحث حتى اتصل به وكيل النيابة ودعاه للحضور فورًا إلي مكتبه، ولما ذهب إليه الحاج بادره الوكيل قائلا:

للأسف لم يستطع رجال المباحث العثور على المرأة، فلم يجدوها بشقتها، فأخبرهم جيرانها بأنها غادرت شقتها منذ حوالي عشرة أيام فقط، ولم تعد حتى صباح اليوم..

فسأله الحاج في هلع:

هل يمكن أن تكون قد هربت؟

أطرق الوكيل يفكر لمدة، ثم أردف قائلا:

لقد أسفرت تحريات رجال المباحث أن المرأة تخطت السبعين من عمرها، وتعيش حياة في غاية التعاسة، حيث توفي زوجها منذ أكثر من أربعين عامًا، ومنذ عدة سنوات توفيت ابنتها الوحيدة قبل زفافها بيومين فقط، فحزنت عليها جزنًا شديدًا أدي إلي إصابتها بمرض في القلب، ولا يوجد لديها أقارب سوي ابن أخيها والذي يعيش في ألمانيا منذ ثلاثين عامًا.. وقد أثبتت التحريات أنه لم يأت إلي مصر منذ هجرته.

وتوقف الوكيل، وثبت عينيه في وجه الحاج ثم أردف قائلا:

بالقطع لن يهمها أن تفعل ذلك في هذا العمر من أجل مجرد ابن أخ لها، وهي ليست على صلة قوية به.

فشهق الحاج وقال في ارتياح شديد:

إنها معلومات في صالحي تمامًا، فمن المؤكد أن امرأة في هذه الظروف لن يكون لها أية أطماع.. وهذا يؤكد أن التحويل لحسابها قد جاء بالخطأ.

ولكن تغيرت أسارير وجه وكيل النيابة وقد بدا له شيء، فقال: لا يوجد أمامنا سوي انتظار عودة المرأة والتي لا يعرف أحد أين اختفت.

وعاد الحاج في هذا اليوم إلي منزله، وقد بدأ التفاؤل يغلب على كل سلوكه.. ولكن مرت بضعة أيام أخري، ولم يعد محمد النقيب إلي العمل، ولم يتصل وكيل النيابة خلالها به، فتسرب الشك إلي قلب الحاج، فلم يستطع الانتظار، فأسرع إلي مكتب وكيل النيابة، وسأله في لهفة عما أسفرت عنه تحريات المباحث عن المرأة، فقال الوكيل بلهجة ملؤها الشك:

إن غياب هذه المرأة المفاجئ، يجعلني أشك في الأمر وخاصة أنه جاء ملازمًا لغياب المدير المالي.

فسأله الحاج في هلع:

ماذا يعني؟

فتغيرت أسارير وجه الوكيل، وقال في حيرة:

أخشى أن يكونا قد تزوجا ليتقاسما الثروة..

× × ×

منذ أن وصل حمدي خبر تحويل رصيد والده بالبنك إلي حساب امرأة عجوز، وهو يعيش في حالة من القلق والضيق، فقد كان الأمر بمثابة صدمة، فالمبلغ هائل، وقد أدي ذلك إلي إصابة والده بمرض ألزمه الفرش، وحذرهم طبيبه المعالج بأن تعرضه لأي أمر يعكر صفوه، سيكون له خطورة شديدة عليه.

فسيطر على حمدي قلق شديد على والده، فلما عرف منه أصدقاؤه ما حدث، أصيبوا جميعًا بذهول، وعلق وليد وهو لا يصدق يالها من مؤامرة خسيسة.

قال حمدي في حزن وضيق شديدين:

والمشكلة أن النيابة ورجال المباحث يجرون تحرياتهم بهدوء شديد، وكأنها ليست مشكلة، وهى تخص أكثر من مائة تاجر في خان الخليلي، وما يزيد على أربعمائة عامل فني.

أطرق جاسر يفكر لفترة ثم قال في حيرة:

من الواضح أن رجال النيابة والمباحث لا يستطيعون أن يضعوا ثقلهم في هذا الأمر.

فسأله طلال وهو لا يصدق:

ماذا تقول يا جاسر؟

قال جاسر مفسرًا:

لأن الموضوع المطروح أمام النيابة لا يدل على وجود جريمة من الناحية القانونية، فالأمر لا يعدو أن يكون مجرد رجل قد حول رصيد حسابه إلي حساب امرأة.. وما دامت المرأة المحول المبلغ لحسابها غير موجودة أمامهم، فلا يوجد اعتراف منها بوجود جريمة.

وكان الخبر قد بدأ ينتشر بين جميع الطلبة الذين ظلوا فى بيوت الطلبة، ولم يسافروا لقضاء الإجازة ببلادهم، فجعل كل منهم يفكر في الأمر لساعات طويلة، فتدخل مسعود الليبي بعد تفكير وقال لحمدي:

ما دام رجال المباحث لم يتحركوا بكل ثقلهم لأنه لا توجد أمامهم جريمة من الناحية القانونية، فالأمر يتوقف عليك أنت يا حمدي في البحث عنها، فمن المحتمل أنهما تزوجا، وهربا، وربما يطول هروبهما.

فتدخلت فتاة مغربية قائلة:

بل يستطيعان الهرب العمر كله.. فتلك المرأة رصيدها

الآن يزيد على الثلاثمائة مليون جنيه، وهو يكفيهما ليعيشا به بقية عمرهما على أعلي مستوي.

قالت فتاة بحرينية في حماس:

يجب أن أسافر أنا وزميلتي لمياء إلي مصر، فلا نستطيع أن نترك شقيقتك سميحة ووالدتك في محنتهما، فلقد قضينا معا أجمل الأوقات.

فتحمس وليد قال لحمدي:

من صباح الغد.. سأنزل أنا معك القاهرة، فلا يستطيع أحد أن يتصور أنني لست مصريًا، فبحكم معيشتي طوال فترة طفولتي بمدينة القاهرة وأنا أجيد اللهجة المصرية مثل المصريين تمامًا.

وراح الجميع يفكر في تدبير الخطة التي تسهل لحمدي ووليد البحث عن محمد النقيب والعجوز الهاربين.. وبعد مناقشة طويلة استقروا على أن يذهب حمدي متنكرًا، فقد خشيت خديجة الموريتانية من أن يكون المجرمان يعرفان أسرة حمدي وخاصة المدير المالي، فأسرع بن صديد الجزائري والذي يعشق التمثيل ويجيد إتقان التنكر إلي غرفته، وأحضر شعرًا مستعارًا وباروكة،

وأدوات تجميل كانت موجودة بغرفته.

أما هادية ولمياء فقد قررتا الإقامة في شقة لمياء بحي الزمالك بمدينة القاهرة، والتي نزلتها لمرافقة زوجها الذي يعمل بأبي ظبي، فوجدتها لمياء فرصة لكي تكونا بالقرب من والدة حمدي وشقيقته.

وفي اليوم التالي كان حمدي يقود سيارته والتي اشتراها له والده، وإلي جنبه وليد في طريقهما إلي حي روض الفرج، حيث تقطن المرأة في شارع يسمى شارع السداوي المتفرع من ميدان روض الفرج، حسب العنوان الذي حصل عليه حمدي من رجال المباحث.. كانا قد استقرا على أن افضل طريقة للبحث عن هذه المرأة هي الاقتراب من بيتها، والسير إلي جانبه لعلهما يعثران على أن معلومات دون أن يرتاب أحد في أمرهما.. ما إن وصلا إلي ميدان روض الفرج، حتى تركا السيارة ليسيرا على أرجلهما، وظلا يبحثا عن الشارع.. إلي أن توصلا أخيراً إليه.. كان الشارع ضيقًا عتيقًا، فجعلا يتتبعان أرقام البيوت في صعوبة، حتى توصلا إلي رقم منزلها، ثم أخذا يذرعان الشارع جيئة وذهابًا.. وبعد دقائق قال وليد:

لقد استطعت تحديد الشقة التي تقطنها المرأة بالبيت، فهي في الطابق الثاني على يمين الباب.

فسأله حمدي في دهشة:

وكيف توصلت إلي ذلك؟

وليد:

لأنني لاحظت أن كل الشرفات مشغولة إما بالغسيل المنشورة أو نساء وأطفال يقفون بالشرفات، ولا توجد سوي شقة واحدة خالية، فما دامت المرأة تعيش بمفردها، وغير موجودة فمن المؤكد أن تكون هي شقتها.

بيد أنهما ما كادا يستأنفان سيرهما لاستطلاع أي خبر، إذا بهما يشعران بيدين قويتين تقبضان علي أيديهما، ويصيح صاحب اليدين بصوت جهوري:

لقد ضبطتكما..

التفت حمدي ووليد إلي صاحب الصوت في ذعر، فسألهما الرجل بصوت مرتفع لكي تسمعه الناس وهو يشدد في قبضته على معصميهما:

ماذا تفعلان هنا؟ لقد تابعتكما منذ أكثر من نصف ساعة، وأنتما تحومان حول المكان.

وكان لصوت الرجل الجهوري صدى شديدًا لدي الناس، فتدافع عدد كبير منهم وأحاط بحمدي ووليد اللذين أصابهما الارتباك والحيرة، وهما يتألمان من جراء إحكام قبضتي الرجل على معصميهما.

سأل رجل يقف وسط الزحام:

ماذا حدث يا حاج عبد المنعم..

فأجاب الرجل بصوت مليء بالفخر:

وقعت عيناني عليهما وهما يحومان حول المكان، ويشيران إلي شرفة الحاجة جميلة.

فظل الناس يحدقون فيهما، وما كادت الجلبة تهدأ، حتى اخترقها صوت رجل آخر يسأل في دهشة:

غريبة ما الذي حدث؟ لقد جاء أكثر من رجل وسأل عنها..

فترامي إلي آذان الجميع صوت امرأة كانت تقف في إحدى شرفات البيت:

مع أنها طول عمرها وهي في البيت، لم يسأل عنها أحد منذ وفاة ابنتها.

وسادت لحظات صمت، قطعه صوت أحد الرجال وهو

يسألهما في حيرة:

ولماذا جئتما؟

فتدخل رجل كبير السن يرتدي جلبابًا، وقال ساخرًا:

وهل هذا سؤال.. إن المرأة غير موجودة منذ عدة أيام، وشقتها خالية، فمن المؤكد أنهما يرغبان في سرقة شقتها.

فعلقت المرأة من فوق شرفتها: إنني أتعجب كيف يختاران أفقر امرأة في الحي ليسرقاها، فهي يا حسرتاه مريضة بالقلب، وعندما تأتها النوبة لا تجد في كل مرة من يأخذ بيدها ليرافقها إلي عيادة الطبيب الذي يعالجها، مع أنه بالقرب من الشارع.

وكان الرجل قد ترك معصمي حمدي ووليد، بعدما تأكد من زحام الناس حولهما، فاستغل حمدي انشغال الناس بالكلام، وغمز بعينه لوليد، فاخترقا الزحام كالصاروخ، وانطلق بكل ما يملكان من طاقة وسط جميع الناس الذين كانوا يتابعونهما بعيونهم وهم في ذهول، ولكن أفاق بعضهم من أثر المفاجأة، وهتفوا قائلين:

أمسك حرامي.. أمسك حرامي

ولكن كان حمدي ووليد قد وصلا في هذا الوقت إلي

مكان سيارتهما، فأدرا حمدي محركها، وأنطلق بها مخترقًا زحام الطريق، وأفلت من بين الناس مجموعة من الأولاد، وجعلوا يجرون في أثرها ويحاولون اللحاق بهما، فما إن اجتازت سيارتهما الميدان حتى قال وليد وهو يلهث من فرط ما بذله من جهد في الجري:

الحمد لله لقد نجونا من علقة ساخنة بأعجوبة.

فوافقه حمدي، بيد أنه بدا له شيء فقال:

ألم تسمع إحدى الجارات تقول: إن المرأة لا تجد من يرافقها كلما أصيبت بنوبة قلبية؟

قال وليد: نعم سمعت، ولكن ما الجديد في ذلك فوالدك على علم بمرضها من رجال المباحث.

ولكن حمدي اعترض قائلا:

لا، إن هذا يعني أنها تتردد على طبيب قريب من شارعها كما قالت جارتها.

فكر وليد لوهلة وتساءل:

تعني أن نذهب ونسأل الأطباء، فهذا خيط جديد في البحث، فمريض القلب يعالجه إما أخصائي في القلب أو طبيب أمراض باطنة.

ولم يضع الصديقان وقتًا، فعاد حمدي بسيارته مرة أخرى إلي الشارع الذي يوجد به منزل المرأة، وراحا يجوبان الشوارع القريبة منه بحثًا عن أطباء القلب أو الباطنة، فمرا على ثلاثة أطباء، ولكنهما لم يجدا اسمها بكشوف المرضى، بيد أنهما مرا على طبيب آخر، فبادرهما الطبيب في لهفة:

نعم أعرفها، ولكن أين هي السيدة جميلة، فلقد كانت دائمة التردد على العيادة، ولكنها ومنذ حوالي ثمانية أيام فقط جاءتني وقد تدهورت حالة قلبها بشكل سريع.

وعاد حمدي إلي منزلهم أخيراً برفقة وليد، فما كاد يرويان للحاج فاضل ما حدث حتى صاح في هلع شديد:

معني ذلك أنه يحتمل أن تكون المرأة قد توفيت:

فلما نظرت إليه زوجته متسائلة في دهشة أردف قائلا في جزع:

لو حدث ذلك فسوف تكون كارثة، فلن يرجع المبلغ الذي دخل إلي حسابها إلينا إلي الأبد.

صار حي خان الخليلي بأكمله في حالة غليان شديد،

فقد أسفر حادث السرقة عن ضياع أموال أكثر من مائة تاجر من الذين شاركوا الحاج في تجارته، وأوشك أبناؤهم على التشرد، إلي جانب توقف أربعمائة عامل فني، كانوا يعملون في صناعة التحف، انتابتهم جميعًا حالة من الحزن على تشرد أبنائهم.. وجعل الناس يتحدثون في أسي عن فسخ خطبة ثلاث بنات من أبناء التجار والصناع من أهل الحي، حيث كانوا ينتظرون تجهيز بناتهم من خلال أرباح الشركة.

وكان التجار والعمال يفدون على متجر الحاج فاضل وشقته بين حين وآخر، ليسألوا عن تطور الأمور، وقد ظهرت على وجوههم أمارات الحزن واليأس الشديدين.. واضطر الحاج أن يجتمع بهم في المقهى الذي اعتاد الجلوس عليه، ليتناقشوا ويتشاوروا فيما يجب عليهم فعله.

وبينما كان الحاج يعرض عليهم تطورات الموقف الخطير الذي يخشى حدوثه من مرض المرأة، والذي قد يقضي عليها، فيتحول رصيدها إلي وريثها الوحيد، فجأة تدخل شاب صغير من أبناء أحد التجار قائلا:

لا يمكن أن نترك رجلا مثل محمد النقيب هذا يفعل كل

ذلك ويذلنا هكذا..

فقال آخر:

ومن أين نعثر عليه، ولقد فعلها وهرب..

تساءل رجل كان يجلس بجوار الحاج في شك وحيرة:

ولكن كيف نتركهما يهربان، فما دام رصيد المرأة موجودًا بالبنك، ففي رأي ألا نتركهما يسحبانه، حتى لو أدي بنا ذلك إلي الوقوف أمام باب البنك، ونجعلها بيننا ورديات.

فرد آخر في تهكم ممزوج بالحزن واليأس:

وهل تعتقد أن من يملك رصيدًا مثل هذا سيأتي إلي البنك ليصرفه، وهو يعرف أن الكل يترصد له..

فسأله رجل مسن في حيرة:

وماذا سيفعل غير ذلك؟

هز الرجل منكبيه باستهانة وأردف بلهجته المتهكمة:

سيحوله إلي أي بنك بالخارج دون أن يأتي بنفسه، فقال الحاج وهو لا يصدق:

لو تم ذلك.. إن هذا آخر أمل لدينا..

×××

ما كادت هادية ولمياء تزوران منزل حمدي لتؤازرا أمه وشقيقته سميحة في محنتهما حتى فوجئتا بالثورة مشتعلة في الحي بأكمله، فقد صار الكل لا حديث لهم إلا جريمة السرقة، مما أدي إلي انهيار الحاج فاضل.. ووجدتا سميحة شقيقة حمدي في حالة يرثي لها، فهي لا تحاول فقط تخفيف الصدمة عن والدها بل تحرص على أن تناوله الأدوية التي كتبها الطبيب في مواعيدها، وتخطف بين حين وآخر عدة دقائق لمواصلة مذاكرتها، بينما كانت الأم تحاول أن تبدو متماسكة، ولكن كانت أسارير وجهها تنم عن قلقها وحزنها دائمًا.. فما إن شاهد حمدي زميلتيه حتى خف إلي لقائهما بحرارة، ولم يلبث أن جاء وليد بعدهما بدقائق فقط، وفي أثرهم أقبل عادل الطحلاوي محامي الوالد.

جلس الجميع لبضع دقائق وقد خيم الحزن والصمت على المكان، ولكن قطع المحامي الصمت وهو يوجه الحديث إلي حمدي قائلا:

الحمد لله.. علمت من وكيل النيابة أن المرأة لم تسحب

رصيدها حتى الآن من البنك، فرجوته أن يجعل قراره بتجميد رصيد المرأة بالبنك ساريًا.

وتوقف وراح ينقل نظراته بين الجميع، ثم ثبتها على حمدي، وأردف قائلا:

ولكن لا تنسوا أن النيابة ليس من سلطاتها تجميد الأرصدة على الأقل لمدة طويلة، ما دام لا يوجد حكم قضائي.

فصاحت سميحة شقيقة حمدي في غيظ:

إن ما يجعلنى أصاب بالجنون، أن كل الشواهد أمام النيابة تدل على أن هذا الرجل وهذه المرأة مجرمان، ورغم ذلك يقف القانون عاجزًا عن المساس بالمبلغ الذي سرقاه.

وساد الصمت مرة أخرى.. كان الحزن واليأس يكسوان الوجوه، ولكن بدا لوليد شيء فجأة فقال:

لقد خطرت ببالي فكرة..

فلما التفت الجميع إليه، خاطب المحامي قائلا:

ما دام الرجل والمرأة قد دبرا مؤامرة، وسرقا أموال الناس عنوة، فلماذا لا نقوم نحن بتدبير مؤامرة ضد هذه المرأة؟

سألته لمياء وهي لا تصدق:

مؤامرة.. ماذا تقصد بذلك يا وليد؟
قال وليد على الفور:
نعمل بالمثل الذي يقول: لا يفل الحديد إلا الحديد، فندبر لهما مكيدة، فنثبت مثلا أن المرأة سرقت أو حتى قتلت أحدًا حتى نجمد بذلك رصيدها بالبنك.
قال المحامي وقد استحسن الفكرة:
الفكرة جيدة، ولكن..
وليد:
ولكن ماذا؟
المحامي:
ولكن ولو اتهمناها بالسرقة أو القتل، فالبينة على من ادعي، فهذا سيكون مجرد ادعاء، فإن المرأة لو ظهرت بعد هذا الإدعاء براءتها، فإنه يمكنها أن ترفع قضية تشهير بها، فنقع في مصيبة أخرى.
وساد الصمت مرة أخري، بدده حمدي قائلا في حيرة:
إن الأمر الذي يحيرني هو هل يمكن لامرأة لا يتجاوز رصيدها العشرين ألف جنيه، وليست لها أرصدة بنوك أخري، حسب ما أظهرته تحريات المباحث، فلماذا لا نلفت

نظر النيابة بأن تسأل كيف حصلت هذه المرأة على هذه الأموال من الحاج فاضل، فهي ثلاثمائة وخمسة عشر مليون جنيه، لا يمكن أن تكون مجرد هبة من الحاج، وهو بالقطع ينكر ذلك أمامهم، وإذا كان حولها لها نتيجة لمعاملات تجارية، فمن أين كان لهذه المرأة أرصدة بالبنوك ليكون لها هذه المعاملات الضخمة.. وهي التي لا يوجد لديها سوي العشرين ألف جنيه، ولا توجد لديها خبرة سابقة أيضًا.

قال المحامي وقد أعجبته الفكرة:

عظيم فعلا، فالمرأة إذا كانت تتاجر، فلا يمكن أن تتاجر بهذه المبالغ الضخمة إلا من خلال أرصدة بنكية، وعليها أن تقدم المستندات الدالة على أنها تتاجر.. وفي هذه الحالة لن تستطيع هي إثبات ذلك.

فشهقت سميحة من الفرحة، وقالت في لهفة:

هذا يعني أننا بذلك قد وضعنا أيدينا على الحل.

ولكن بدا للمحامي شيء، فتنهد بحرارة ثم قال في حسرة:

للأسف.. إن هذا يكون في صالحنا فقط عندما نعثر على

المرأة بأي شكل.

ثم قال وهو يتأهب للانصراف:

لقد نسيت أن أقول للحاج إنني استطعت إقناع النيابة بأن تصدر قرار لمصلحة الموانئ والمطارات بمنع سفر محمد النقيب والسيدة جميلة عبد اللطيف، وأي فرد على علاقة بالقضية، إلا بعد الرجوع إلي النيابة.

وما إن شرع في الخروج، حتى قال وهو في منتصف الغرفة:

كما أخبرتنا مكاتب التوثيق بأنه لم يصلها أي طلب بتوثيق توكيل باسم المرأة حتى الآن.

صاح حمدي في غبطة:

يا له من خبر جميل.

بيد أن المحامي قال في شك قبل أن ينصرف:

ولكن.. لا تنسوا أن كل هذه إجراءات مؤقتة.. فكل الحلول تتوقف على شيء واحد.. وجود المرأة جميلة عبد اللطيف..

شعر الجميع بعد مغادرة المحامي للمكان أن خيوط الحل قد صارت في أيديهم، وكلها تتلاقى عند نقطة واحدة..

العثور علي المرأة.

فخيم الصمت على المكان تمامًا.. كان كل منهم يفكر في طريقة للعثور عليها. وبزغت فجأة فكرة في ذهن وليد، فقال:

طالما أن المرأة لم تغادر البلاد حتى الآن، فمعني ذلك أنها موجودة داخل مصر، وما دامت تعالج من مرض القلب وحالتها خطيرة، فلا يمكنها المعيشة إلا من خلال زيارتها لعيادة طبيب أو مستشفي.

فقال حمدي معترضًا في حيرة:

وكيف يتسنى لنا البحث لدي الأطباء، ويوجد ما لا يقل عن ألفي طبيب قلب، بل وضعفهم أطباء في جميع أنحاء مصر.

فعقبت لمياء قائلة:

ولا تنسوا أنها مادامت مختفية، فيمكن أن تذهب إلي عيادة أي طبيب تحت أي أسم آخر..

قالت سميحة في حيرة:

أنني أتعجب أن محمد النقيب والمرأة لم يسحب أي مبلغ من رصيدها بالبنك، وقال بابا: إن محمد النقيب أختفي

قبل أن يقبض راتبه الشهري، فكيف يتزوجان ويعيشان في أي مكان يختبئان فيه بدون أموال..

فمن المؤكد أن مصاريفهما ستزيد لأنهما يحتاجان إلي السكن في شقة مفروشة أو حتى فندق..

فصاح حمدي في حماس:

لقد تذكرت أن المرأة تتقاضى معاشًا شهريًا حسب ما أظهرته تحريات رجال المباحث، فلماذا لا نبدأ خيط البحث من مكتب المعاشات بروض الفرج التابع لحيها مكتب البريد الذي يقبض منه أصحاب المعاشات..

ولكن اعترض وليد قائلا:

هذا خيط ضعيف، فمن يدبر جريمة مثل هذين المجرمين من المؤكد أنهما سيكونان حريصين على الاختفاء، وخاصة أن المكان الذي تقبض منه المعاش هو أول ما يخطر لرجال المباحث في البحث.

بيد أن هادية قالت في حماس:

ولكن لا تنسوا أن المجرم مهما ارتكب من جريمة، فهو أحيانًا يترك ثغرة، ولا توجد جريمة كاملة، فربما تكون هذه الثغرة أو الخيط الذي قد يقودنا إلي مكانها.

فاتفق الجميع على ألا يركزوا كل جهودهم في جانب واحد.. فتقوم سميحة وهادية ولمياء بالتوجه إلي مكتب معاشات روض الفرج للاستعلام عن المرأة، أما حمدي ووليد، فيمران على بقية أطباء القلب والباطنة في أنحاء روض الفرج، فربما قد غيرت المرأة طبيبها بآخر في الحي نفسه.

ولم تمض إلا ساعة واحدة، حتى كانت البنات الثلاث تقف في مكتب المعاشات، وبعد أن سألن معظم الموظفين بالمكتب اهتدوا أخيراً إلي الرجل الذي لديه ملفات أصحاب المعاشات، فما إن سألنه عن اسم جميلة عبد اللطيف، حتى بادرهن الرجل قائلا:

وأين هي الست جميلة، فلقد جاءتني منذ عشرة أيام فقط لتقبض معاشها، وتقدمت بطلب لزيادة المعاش بمبلغ ثلاثين جنيه.

وتركت لي الورقة بيضاء وعليها توقيعها فقط لكي اكتب أعلاه الطلب، ولكن الإدارة هنا وجدت أن الزيادة لا تسري على حالتها، ويمكنها إذا جاءتني أن تسترد هذه الأوراق بنفسها.

قال الرجل ذلك، ثم بدا له شيء، فأدخل يده في أحد أدراج مكتبه، وأخرج منه بعض الأوراق، وقال هو يناولها لهن:

بما أنكن قريباتها فأعطينها هذه الأوراق، فها هي صورة استمارة التأمين الصحي قد وقعتها لها بختم المكتب لتجدد الاشتراك كما طلبت مني.

وما إن غادرن المكتب إذا بهادية تقف فجأة، وتلقي نظرة على الأوراق، ثم قالت وهي تشعر أنها قد توصلت إلي أمر هام:

انظرا إن المرأة تعالج في مستشفي التأمين الصحي بمدينة نصر، ولكن أين مدينة نصر يا سميحة؟

فصاحت سميحة على الفور:

لننطلق إلي هناك على الفور فلا يوجد لدينا وقت، فقد تكون المرأة هناك الآن..

فأسرعن وأخذن سيارة أجرة إلي مدينة نصر.. ولم تأخذ السيارة وقتًا حتى توقفت أمام باب المستشفي..

واستطاعت سميحة أن تقنع حراس البوابة بصعوبة بالدخول.

وفطنت لمياء إلي أن اقرب قسم يسألن عنه بالمستشفي هو قسم القلب والصدر، وكما توقعت فإنهن ما كدن يسألن عن اسم المرأة في الاستعلامات التابعة للقسم، حتى فوجئن بإحدى الممرضات كانت تسير في الممر وقد تجاوزتهن، فما أن سمعتهم يسألن عن جميلة عبد اللطيف، حتى عادت أدراجها إليهن وسألتهن في لهفة :

تسألن عن جميلة عبد اللطيف.. الست العجوز، فلقد جاءت منذ عشرة أيام فقط، وبالأمارة كان بصحبتها رجل كبير مثلها.

فصاحت الفتيات الثلاث في صوت واحد :

محمد النقيب..

شعرت الفتيات الثلاث أنهن قد توصلن إلي المجرمين معًا..

فاقتربت سميحة من المرأة، وسألتها في لهفة :

نعم أليس هو الرجل الأسمر والأصلع القصير القامة؟

ولكن المرأة هزت رأسها وقالت معترضة :

لا، فأنا أتذكر شكله جيدا، فهو رجل عجوز طويل القامة، أبيض البشرة، وشعر رأسه غزير، يملؤه الشيب تمامًا.. وبالأمارة يوجد نتوء يملأ جبته..

وما كادت المرأة تشرع في مغادرة المكان، وتسير بضع خطوات حتى بدا لها شيء فجأة، فتوقفت وعادت إليهن وقالت:

آه تذكرت.. لقد طلب منها الدكتور أن تعمل سونار على القلب في مركز السونار المجاور للمستشفي.

فسألتها هادية في لهفة:

مركز السونار؟ أين هو؟

وبالرغم من أن وصف المرأة للمكان يوحي بأنه قريب من المستشفي، لكنهن فوجئن بأنه على بعد نصف ميل بأكمله، فما كدن يسألن إحدى الممرضات عن اسم جميلة عبد اللطيف التي تعالج، إذا بالممرضة تفاجئهن وهي تقول في لهفة:

أين هي؟ فقد جاءت مرتين متتاليتين لعمل السونار، وآخر مرة جاءت فيها من ثمانية أيام فقط، وكان يرافقها بالأمارة رجل عجوز طويل القامة أشيب.

فسألتها لمياء:

وكان له نتوء يملأ جبهته؟

هزت المرأة رأسها وقالت:

فعلا، وقد طلبت منها أن تسدد رسوم الأشعة، ولكنها طلبت مني في رجاء أن أمهلها عدة أيام لتدبير ثمن الأشعة، لكنها لم تعد حتى الآن، فسألتها لمياء عن قيمة رسم الأشعة..

فقالت المرأة:

خمسة وأربعون جنيه...

ففوجئتا سميحة وهادية بلمياء تفتح حقيبة يديها لتخرج كيس نقودها لتسدد القيمة، لكن اقتربت منها سميحة بسرعة، وقالت معترضة في همس:

وما قيمة سداد ثمن الأشعة، إنها فرصة لكي نضمن أن تأتي المرأة لتأخذها.

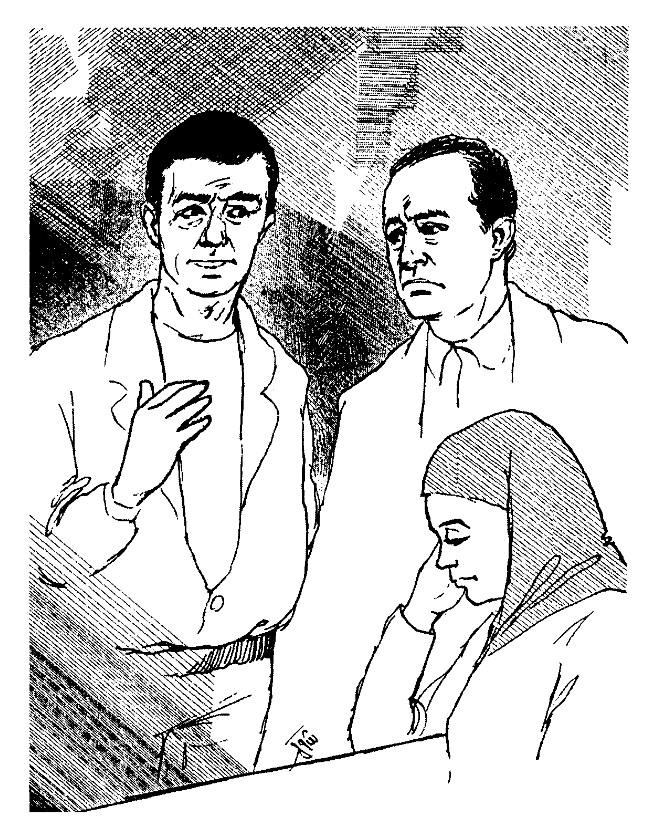
وسارعت هادية بالاتصال بتليفون حمدي المحمول، وأخبرته بمكانهن، وطلبت منه أن يأتي بسرعة مع وليد..

فلم تمض إلا نصف ساعة حتى كانت سيارة حمدي تقف أمام باب مركز الأشعة، ولما روت البنات لحمدي ووليد ما حدث، قال وليد في ذهول:

إنها أخبار في منتهى الأهمية..

فقال حمدي في حماس ولهفة:

لنقف ننتظرها لعلها تأتي اليوم.



لقد خدعت المرأة العجوز ولا تعرف شيئا عما يدور

ولكنهم ظلوا منتظرين أمام المركز حتى غروب الشمس، وجعلوا يواصلون الانتظار لمدة ثلاثة أيام كاملة.. ولكن لم تأت المرأة بل ولا أحد من طرفها لاستلام الأشعة.

قالت هادية:

لقد توصلت بعد تفكير طويل إلي نقطة كانت غائبة عنا تمامًا:

فسألها الجميع في لهفة:

ما هي؟

هادية:

لقد توصلت إلي أن المرأة العجوز قد خدعت، ولا تعرف شيئًا عما يدور.

فنظر إليها الجميع وقد رنت على وجوههم الدهشة الشديدة، وقال حمدي وهو لا يصدق:

ماذا تقولين يا هادية؟

هادية:

نعم، فإن كل الأحداث تدل على أن هذه المرأة مظلومة، فهل يمكن لامرأة تعرف أن لديها كل هذه المئات من الملايين، فتذهب لتطلب زيادة معاشها بثلاثين جنيهًا شهريًا، لأن

معاشها عن زوجها وكما هو واضح من استمارة المعاشات مائتان جنيه، وذهبت لتجدد اشتراكها في التأمين الصحي لتأخذ علاجًا مجانيًا، بل ولم تكن تملك ثمن الأشعة، والتي هي في أشد الحاجة إليها وهي في هذه الحالة الصحية.

وسكتت فجأة وجعلت تنقل نظراتها بين الجميع، وأردفت قائلة:

فلو كانت تعرف أنها تملك كل هذا الرصيد، فلماذا تضطر إلي تكبد كل هذا العناء..

فكر حمدي، ثم قال مؤمنًا على كلامها:

تساءل في حيرة:

ولكن ما هو سر اختفائها.. واختفاء محمد النقيب، فهل يمكن أن يكون ذلك مصادفة.

فقال وليد..

لا، إن ذلك ليس نتيجة مصادفة، بل له تفسير آخر..

إن تفسير اختفائهما معًا، هو أن محمد النقيب قد خدع هذه المرأة، وأقنعها بأنها في حاجة إلي من يؤنس وحدتها، ويستطيع أن يرعاها في ظروفها الصحية والنفسية هذه

فتزوجها، ثم شرع في رسم خطته، فأودع مبلغ العشرين ألف جنيه باسمها دون أن تعرف أن لديها حسابًا بالبنك.

فقالت لمياء مؤكدة:

فعلا ألم تلاحظوا أن إيداع العشرين ألف جنيه لم يحدث إلا قبل تحويل المبلغ بمدة قصيرة جدًا.

قال حمدي وهو يهز رأسه كمن توصل إلي الحقيقة:

إنه تفسير منطقي جدًا، بل ويفسر لنا لماذا لم تسحبه، كما يفسر لنا لماذا لم يذهب بها محمد النقيب لعمل توكيل بسحب الرصيد.. فربما لو قامت بعمل توكيل له وسحب الرصيد وعرفت، فمن المحتمل جدًا أن تعرف المكيدة..

فقالت لمياء، وقد خطر ببالها شيء:

ولكن لا تنسوا يا جماعة أنه سواء كانت المرأة بريئة أو مذنبة، فإنها لابد أن تذهب لاستلام الأشعة في أي وقت أو ترسل أحدًا..

قالت سميحة:

ولذلك لا يوجد أمامنا سوي إبلاغ الشرطة بالأمر، فحتى لو وجدنا المرأة، أو أرسلت أحدًا ليقوم باستلام الأشعة، فهل يحق لنا القبض عليه، أو علي من يستلم عنها الأشعة،

فليست لنا سلطة في القبض علي أحد..

صاح حمدي وهو لا يصدق:

صحيح لقد فاتنا ذلك.

وأسرع بالاتصال بعادل الطحلاوي المحامي، وأبلغه بما حدث، فجاءه صوت المحامي وقد ظهرت الدهشة عليه:

عظيم يا أولاد، لقد وضعتم أيديكم على أول الخيط، وسأتصل فورا بوكيل النيابة، ليعطي أوامره لرجال المباحث لعمل الكمائن للقبض على المرأة، أو من يأتي من طرفها لاستلام الأشعة، فهي الأمل الوحيد في استرداد المبلغ..

وظل الأصدقاء ينتظرون ما سيحدث في اليوم التالي، ولكن لم يبلغهم المحامي بشيء.. إلا أنه في صباح اليوم الذي تلاه، اتصل بهم المحامي وأبلغهم بخبر خطير..

فقد وصل بلاغ لمباحث قسم مصر الجديدة بوجود امرأة متوفاة بمستشفي الأمل بمصر الجديدة منذ عدة أيام، وتدعي جميلة عبد اللطيف، وتظهر بطاقتها أنها من حي روض الفرج..

وقع خبر وفاة المرأة على أسرة الحاج فاضل كالصاعقة،

فقد كان كل شيء معلقًا على وجود المرأة، فوجودها كان يعني عودة المبلغ، فهي لو كانت بريئة فستشهد أن المال لا يخصها، وإن كانت مذنبة، فإنها لن تستطيع تقديم ما يفيد سبب تحويل الحاج فاضل هذا المبلغ لحسابها.. ففي الحالتين كان المبلغ سيعود إلي الحاج.. أما الآن بعد وفاتها فقد ضاع الأمل تمامًا.. وضاعت معه أموال تجار حي خان الخليلي بأكمله..

×××

وكانت النيابة قد أحاطت خبر وفاة المرأة العجوز سرية تامة، عسي أن تستحدث أمور جديدة، لدرجة أن جيرانها الذين فوجئوا بزيارات رجال المباحث المتعددة لمنزلها، لم يعرف أحد منهم بأمر المبلغ الذي حمل إلي حسابها من الحاج فاضل، والدليل على ذلك أنهم قاموا فيما بينهم بجميع مبلغ لمصاريف جنازتها.

ولكن رغم كل هذه الاحتياطات، فقد فوجئت النيابة ورجال المباحث بخبر ينشر في صفحة الحوادث بإحدى الجرائد الشهيرة.. عنوانه: "وفاة مليونيره في ظروف غامضة ".

ولم يقتصر الخبر على مجرد العنوان بل ذكر أسفله اسم المتوفاة جميلة عبد اللطيف والتي تجاوزت السبعين عامًا ".

فأسرع الحاج فاضل إلي وكيل النيابة حاملا معه نسخة من الجريدة التي نشرت الخبر، فما إن التقي بالوكيل، حتى فوجئ به يبادره قائلا في دهشة:

إنني أتعجب.. كيف تم نشر هذا الخبر؟

فسأله الحاج وهو لا يصدق:

أتسألني أنا يا سيادة الوكيل بل إنني أتيت لأسألك كيف نشر هذا الخبر بالجريدة، رغم تصريحكم بأن الموضوع في غاية السرية؟

أطرق الوكيل فترة، ثم قال في حيرة:

إن خبر وفاتها ليست له أهمية، ولكن ما أدهشني هو من قام بإبلاغ الصحيفة أن هذه المرأة مليونيره، إذا كان كل جيرانها لا يعرفون شيئًا عن رصيدها بالبنك.

وفي اليوم التالي استدعت النيابة الصحفي.. الذي قام بنشر الخبر.. وكان شابًا صغيراً، فلما بادره وكيل النيابة بالسؤال:

كيف عرفت أنها امرأة مليونيره بالرغم من أنها تعيش في حي فقير، بل وتعد من أفقر من بالحي؟

ففوجئ الوكيل بالشاب الصحفي يدخل يديه في أحد جيوبه، ويخرج منه ورقة مطوية، ففردها وناولها لوكيل النيابة، فما أن قرأها الوكيل، حتى صاح في حيرة: غريبة..

فقد كانت الورقة عبارة عن خطاب من مجهول موجه إلي

الصحفي يقول صاحبه: أسأل عن سيدة اسمها جميلة عبد اللطيف توفيت فجر اليوم بمستشفي الأمل بمصر الجديدة، فسوف تفوز من وراء ذلك بخبر خطير، لأن هذه السيدة المتوفاة ليس لها أقارب، ويعرف جيرانها والمحيطون بها أنها مجرد امرأة فقيرة، ولكنها في الحقيقة تمتلك ثلاثمائة وخمسة عشر مليون جنيه، حسب كشف حسابها الجاري بالبنك التجاري الوطني في القاهرة رقم 158327

أطرق وكيل النيابة يفكر، ثم سأل الصحفي:

وما الذي جعلك تتأكد من صحة هذا الخبر؟

فابتسم الصحفي لا تنس أنني صحفي.. ولقد استطعت أن أتأكد من هذه الحقيقة بطريقتي الخاصة، عندما ذهبت إلي البنك وأوحيت إلي موظف يعمل بحسابات هذا البنك بأنني من رجال المباحث، فصرح لي بالحقيقة.

وفي اليوم التالي، التقي وكيل النيابة بالحاج فاضل، فأخبره بما حدث ثم أردف قائلا:

يبدو أن هناك مجرمًا له غرض وراء ذلك، وأشك أن يكون هو مديرك المالي المختفي.

إلا أنه بينما كان وليد وهادية ولمياء، مجتمعين في مساء اليوم التالي في شقة الحاج فاضل لمناقشة هذا الأمر الخطير مع حمدي وشقيقته سميحة، إذا بتليفون الحاج المحمول يرن.. كان الطالب هو رئيس المباحث، وقد اتصل بالحاج ليخبره بأمر غريب. فلقد وصل مصر منذ ساعتين فقط، رجل اسمه محسن أحمد عبد اللطيف قادمًا من ألمانيا، وفور وصوله أخطر أحد المحامين ليرفع له قضية إعلام وراثة، بأنه ابن شقيق السيدة جميلة عبد اللطيف، حيث قرأ الخبر بالصحيفة التي قامت بنشره، فلحق بأول طائرة إلي مصر، ليطالب بحقه في ميراث عمته.

فشعر الحاج بأن مجرد بصيص الأمل في عودة أمواله، قد اختفي تمامًا.

كان طلال وجاسر يتابعان ما يحدث وهما في مسكن الطلبة من خلال اتصالاتهم المستمرة بحمدي ووليد، ولكنهما عندما علما بتطور الأحداث التي انتهت بوفاة المرأة وظهور الوريث، لم يجدا بدا من السفر فورًا إلي مدينة القاهرة، ليكونا إلي جانب صديقهما حمدي فاضل.

وكان حمدي قد اتصل بعادل الطحلاوي محامي والده،

وأخطره بحضور الوريث إلي مصر، فسارع المحامي بالحضور إلي شقة الحاج فاضل.. وكان يبدو على وجهه في هذه المرة خطورة الأمر، حيث كان في غاية الهم والقلق، وما إن وقعت عيناه على الحاج فاضل حتى بادره قائلا:

أرجو أن اجتمع بك على انفراد لأمر هام.

وكان طلال وجاسر قد وصلا في هذا الوقت، فلما شاهدا حمدي، اعتراهما خوف شديد، فقد كان وجهه شاحبًا جدًا وزائغ النظرات مشتت الفكر، وما كادا يتحدثان إليه، إذا بسميحة شقيقته تقبل وتحييهم وقد بدا على وجهها الهم والحيرة، وأبلغت حمدي أن المحامي يريده في أمر عاجل في غرفة والده.

فبادرت هادية الجميع.. بعد استئذان حمدي في الخروج، قائلة بصوت أقرب للهمس:

يا جماعة الموقف الآن قد تعقد تمامًا، وانتهي بذلك أمل الحاج في استرداد أموال الشركاء.

فأمن طلال على كلامها وقال في حماس:

وهذا ما جعلنا نبادر بالسفر إلي هنا، فأنتم تعرفون أنه لم يتبق على الإجازة سوي عشرة أيام، وقد فكرت أنا وجاسر

في الاتصال بجميع زملائنا من طلبة الكلية لكي يطلبوا من أهلهم المساهمة بالأموال ولو بجزء يسير لتخفيف هذه الأزمة.

فعقب جاسر في همس:

واتصل بي على الفور أربعة من أصدقائنا بالكلية، ليسألوني عن كيفية السداد.

أطرقت لمياء لوهلة، ثم قالت معترضة:

كل هذا عظيم ولكن لو تبرعت كل أسر الطلبة بالكلية، ودفع كل منهم ألفي دولار.. فلن يزيد ما يجمعونه على خمسمائة ألف دولار، وهذا لا يتجاوز ثلاثة ملايين جنيه، وهي أموال مئات الأسر.

فأومأت هادية مؤمنة على كلامها وقالت في أسي:

فعلا إن الخسارة فادحة لا يمكن تعويضها بسهولة.

شهق جاسر وقال في حسرة:

يا لها من مأساة.

ودخل في هذا الوقت المحامي عادل الطحلاوي في أعقابه دخل حمدي وشقيقته سميحة.. كان الوجوم باديًا على وجه حمدي، بينما كانت سميحة تنظر إلي الأرض

مطرقة، وقد بدا عليها الحيرة الشديدة، وما إن استوي المحامي في مقعده، حتى ألقي نظرة متسائلة على جاسر وطلال، فسارع حمدي قائلا :

أقدم لك طلال وجاسر من أعز أصدقائي.

فأزال بذلك الحيرة التي علت وجه المحامي، وبادر قائلا بصوت متهدج :

أستطيع الآن أن أقول لكم إن المشكلة قد تم حلها.

فنظر الجميع إلي بعضهم البعض في ذهول شديد، فأردف المحامي قائلا :

نعم.. تم حلها.. وستعود الأموال إلي جميع التجار المشاركين من الخان.

فانتفضت هادية واقفة، وقالت وهي لا تصدق :

مستحيل هذه.. هذه معجزة.

وهنا أومأ المحامي برأسه مؤمنًا، وقال في حيرة يشوبها الأسى :

نعم.. سيتم ذلك ولكن..

فسأله جاسر في لهفة :

ولكن.. ماذا؟؟

فأخذ المحامي نفسًا عميقًا وقال بنفس لهجة اليأس:
ولكن مقابل ذلك، سيدخل الحاج فاضل السجن.
نظر الجميع إلي بعضهم البعض وقد راحوا في ذهول تام..

× × ×



لكى ننقذ مئات الأسر لابد أن يدخل الحاج فاضل السجن

ساد الذهول بين الأصدقاء لمدة طويلة، واستطاعت لمياء أخيراً أن تخرج من الذهول الذي اعتراها، وسألت المحامي وهي لا تصدق:

ماذا تقول يا عمو عادل؟ هل الحاج فاضل كان له دور في ذلك.. إنني لا يمكن أن أصدق.

فأمنت هادية على كلامها وقالت وحالة الذهول تملأ وجهها:

مستحيل فلو كان للحاج فاضل دور في هذه المؤامرة، فلن نثق بعد ذلك في أحد من البشر.

بينما راح وليد وطلال وجاسر يوزعون نظراتهم بين المحامي وبين حمدي وشقيقته سميحة، وقد غشي وجههم الذهول التام.

ولكن اغتصب المحامي ابتسامة ظهرت في فمه ليطمئن الجميع، ثم قال وهو ينقل نظراته بينهم جميعًا:

لا اطمئنوا تمامًا، فالحاج فاضل ليس له دور في ذلك، ولكن للأسف مضطر لكي أنقذ المئات من أسر التجار والعمال من التشرد، فاتفقت مع الحاج أن يضحي من أجل هؤلاء

جميعًا..

تساءل وليد وهو لا يصدق:

يا له من لغز..

وعلت صيحات الاستهجان والاعتراض من الجميع، ولكن انتظر المحامي قليلا، حتى هدأت الثورة، ثم قال بصوت هادئ وقور:

لقد حرصت على أن أشرح لكم أنتم الفكرة قبل كل فرد آخر، حتى تكونوا على علم بالحقيقة، ولا يتسرب إليكم الشك يومًا في ذمة والد صديقكم حمدي.

فازدادت حيرة الجميع، وثبتوا عيونهم عليه وهم في شغف هائل، فأردف قائلا:

المسألة وما فيها أننا كنا أمام مؤامرة أحبكها المتآمرون للأسف بمنتهى الخبث والدقة، ونجم عنها ضياع رؤوس أموال المئات من تجار الحي، وتوقف عيش مئات العمال، وأوشكت أسر كل هؤلاء على التشرد..

وقد كان أملنا الوحيد هو العثور على المرأة، فهي إن كانت بريئة فستشهد بالحق، وإذا كانت مذنبة فسيصعب عليها إثبات حقها في التحويل إلي حسابها.. ولكن للأسف جاءت

وفاة المرأة فجأة، بعد أن اشتد عليها المرض، فتصوروا كل هذه المئات من الأسر يغتصب حقها رجل عاش ثلاثين عام في الخارج، ولا يعرف شيئًا عن عمته إلا من خلال مجرد خبر صغير، فيأتي ليحصل على كل أموال هؤلاء رغم أنوفهم جميعًا..

:فسأله طلال في نفاد صبر

ولكن ما علاقة تهمة الحاج فاضل بذلك؟

أجاب المحامي:

لأنه بعد وفاة المرأة صار الرصيد باسمها، حيث لا يمكن إلزام وريثها بشيء.. فالأمر كان يتوقف علي شهادة عمته وليس شهادته هو، ولذلك كان أمامنا حل واحد للأسف..

سأله وليد في لهفة:

وما هو؟

المحامي:

الحل الوحيد هو أن تظهر المرأة أمام النيابة مديونة، وهذا الدين يتم بأن نجعل الحاج فاضل يأخذ إيصال أمانة على هذه المرأة بنفس قيمة رصيده المحول إليها..

فسأله طلال في حيرة:

ولكن.. ألا يقتضي إيصال الأمانة أن توقع المرأة بنفسها عليه، فكيف تأخذ على نفسها تعهدًا برد مبلغ الأمانة، إلا لو قامت بالتوقيع عليه.

فتر ثغر المحامي عن ابتسامة قصيرة، وقال في تأكيد:

لقد حصلنا على توقيعها بالفعل.

فصاح الجميع في ذهول:

مستحيل!!

ولكن قال المحامي مؤكدًا..

نعم.. فعندما ذهبت سميحة ولمياء وهادية إلي مكتب المعاشات وسلمهن الرجل الأوراق الخاصة بهذه السيدة، وبدون قصد كان من بينها الورقة الموقعة على البياض من المرأة، والتي تركتها له ليكتب أعلي توقيعها طلبًا بزيادة المعاش، ولكن لم يكتب شيئًا.

راح الجميع يتبادلون النظر إلي بعضهم في دهشة، فأردف المحامي:

فالورقة موقعة من المرأة بنفسها، وعليها أيضًا بصماتها، فلو كتبنا أعلي توقيعها إيصال أمانة للحاج بالثلاثمائة وخمسة عشر مليون جنيه، فعندما يقدم للنيابة يكون

هنا للحاج الحق في المبلغ، ما دام الإيصال سيكون سليمًا بمضاهاة توقيعها وبصماتها عن طريق الطب الجنائي..

فأطلق الجميع صرخة فوز، وهتفت هادية في إعجاب شديد:

يا لها من فكرة يا عمو..

ولكن ما إن هدأت الجلبة التي أحدثتها صيحات الإعجاب من الجميع، حتى بدأ لوليد شيء، فسأل المحامي في حيرة:

ما دام إيصال الأمانة الذي سيقدم للنيابة لا شبهة فيه قانونيًا، فلماذا يدخل بسببه عمو فاضل السجن؟

هز المحامي رأسه ثم قال:

هذه هي المشكلة يا بني.. لأنه سيكون من الواضح أمام النيابة أن هناك مؤامرة تم تدبيرها بين الحاج فاضل وبين المرأة العجوز، لأنه كيف يأخذ الحاج على المرأة إيصال أمانة وهي لا تملك سوي عشرين ألف جنيه فقط.. في حين أن ما تملكه هو رصيد محول من الحاج فاضل إليها.. فهذا يدل أن هناك اتفاقًا بين الحاج والمرأة ليستولي على أموال الشركاء.

وصمت المحامي لوهلة، ثم أردف قائلا بلهجة من يمتثل

للأمر الواقع:

للأسف لا يوجد لدينا سوي هذا الحل، والذي سيكون ضحيته الحاج لإنقاذ الأسر من التشرد..

قال ذلك، واستأذن في الانصراف، تاركًا الجميع وهم في حيرة شديدة.. فخيم الصمت على المكان تمامًا، ولكن قطعت الصمت لمياء متسائلة:

ولكن إن الأمر لا يتوقف فقط على دخول الحاج السجن..

فسألها طلال وهو لا يصدق:

ماذا تقولين يا لمياء، فهل هناك شيء أخر أفظع من سجنه؟

قالت لمياء في تأكيد:

نعم.. فلقد نسيتم شيئًا سيكون له مردود أبشع على الحاج فاضل وأسرته.. وهو الكرامة، فالجريمة ستكون أمام أهل الحي جميعًا خيانة أمانة من الحاج فاضل ينجم عنها دخوله السجن، فتظل وصمة العار في جبين أولاده، وأحفاده إلي الأبد..

كان لكلمات لمياء وقع شديد على الحاج.. فراحوا يتبادلون

النظر في حيرة شديدة، ولكنهم فوجئوا بحمدي يبتسم رغمًا عنه، فلما نظروا إليه في دهشة قال:

لا خشية من الفضيحة، فلقد وجدنا أنا ووالدي مع المحامي حلا لهذا الأمر.. فسيجتمع عادل الطحلاوي المحامي مساء الغد بالتجار جميعًا، ويظهر أمامهم الورقة البيضاء التي عليها توقيع المرأة فقط، وبعد أن يشرح لهم الفكرة، يقوم بكتابة إيصال الأمانة أمامهم على هذه الورقة.. بل ويطلب من أحدهم أن يقوم بنفسه بتقديم إيصال الأمانة إلي نيابة عن الحاج لأنه مريض.. وبذلك لن يتطرق أدني شك في قلب وعقل أي منهم لأنهم يشاركون في صنعها.. بل وسيعرفون أن الحاج قد ضحي بنفسه من أجل مصلحتهم جميعًا..

فأمنت هادية على كلامه قائلة:

الفكرة بذلك مكتملة ورائعة..

ولكن صاح جاسر في حسرة:

يا له من موقف شهم من الحاج، فسيضحي بسنوات عزيزة من عمره من أجل جيرانه، فدخول السجن ليس بالأمر السهل.

وقام طلال وقال معتذرًا:
سنذهب إلي الفندق لنستبدل ملابسنا، ونتقابل في المساء يا حمدي..
ولكن فوجئ الجميع بحمدي يترك الغرفة مسرعًا، ويعود بعد دقيقتين فقط، وهو يحمل بين يديه إحدى الصحف وبادر الجميع قائلا:
ألم تقرءوا هذا الخبر؟
وراح يتلو عليهم خبر وفاة المرأة العجوز الذي نشر بالجريدة.
فتساءل وليد في دهشة:
وما الجديد في ذلك يا حمدي، فكلنا قد قرأ هذا الخبر..
ولكن التفت إليه حمدي وقال:
نعم أعرف ذلك، ولكني أريد أن الفت النظر إلي نقطة غابت عنا جميعًا..
وتوقف وراح يجيل النظر بين الجميع الذين ثبتوا على وجهه عيونهم، وهم في حيرة، وأردف قائلا:
ألا يدعو ذلك إلي الشك.. رجل في ألمانيا يتلقى خبر وفاة يوم السبت، فيصل صباح اليوم التالي.

فظهر على وجوه الجميع الحيرة والتفكير، فواصل حمدي كلامه بطريقة يستدعي بها تفكيرهم:

والخبر يقول امرأة تسمي جميلة عبد اللطيف، ولم يذكر اسم جدها.. فكيف يعرف رجل يعيش في ألمانيا على الفور أنها عمته.. كما أنها امرأة فقيرة، فكيف يتوقع على الفور أن المقصودة هي عمته، فمن أين عرف أنها مليونيرة من الأصل، فينزل إلي مصر فورًا.

ففكرت هادية، وقالت وكأنها تكمل فكرته:

بل ويأخذ أول طائرة، وكأنه كان جالسًا على باب المطار، متوقعًا الخبر.

فامتثل الجميع للتفكير في الأمر.. وبعد مدة قال جاسر في حماس:

اسمعوا.. شقيقي الكبير يعيش في ألمانيا منذ ما يزيد عن عشر سنوات، وهو ذو خبرة كبيرة بألمانيا، ممكن أن نستعين به في معرفة كل ما نريد معرفته عن هذا الوريث.

واستطاع حمدي الحصول من محامية عادل الطحلاوي على بيانات الوريث محسن أحمد عبد اللطيف، والذي قام بتحصيلها بدوره من المباحث، فأرسلها جاسر على

الفور إلي شقيقة بالبريد الإلكتروني.. ما كاد الأصدقاء جميعًا يتلاقون في اليوم التالي، فإذا بجاسر يبادر حمدي قائلا:

لقد كنت صائبًا يا حمدي، فلقد اتصل ياسر شقيقي بأحد أصدقائه يعمل على خط شركة الطيران والتى وصلت طائرتها في تاريخ وصول الوريث محسن، وعرف من الشركة أن محسن أحمد عبد اللطيف قد حجز على الطائرة قبل سفره بأسبوع.. أي قبل ميعاد نشر الخبر بعدة أيام..

فصاح حمدي، وهو لا يصدق هذه نتيجة هائلة:

كيف كان يعرف الوريث أنها ستتوفى، فيقوم بالحجز قبل ذلك بأيام.

ندت عن وليد صرخة انتصار، وقال:

لقد توصلنا إلي المجرم أخيراً..

أسرع الجميع إلي مكتب عادل الطحلاوي المحامي، فما إن سمع منهم ما حدث حتى هتف وهو لا يصدق:

يا له من خبر لقد تغير الموقف تمامًا الآن، حيث صار لدينا مستند قانوني.

فشهقت لمياء وهي تقول في ارتياح:

وبهذا نبتعد عن الحل المؤذي، الذي كان عمو الحاج فاضل سيقع ضحيته ويدخل السجن.

فالتفت إليها المحامي وقال مؤمنًا على كلامها:

نعم يا ابنتي.. الآن وبهذا المستند سيتواجد أمام النيابة أول دليل رسمي.

ولكن سأله جاسر في حيرة:

إن شقيقي لم يستطع الحصول على أصل المستند.

فأطرق المحامي يفكر، وقد بدت على وجهه أمارات حيرة شديدة، فلما شاهد الجميع ذلك، تسرب الخوف إلي قلوبهم، حيث ظنوا أن هذا الحل قد فشل، والذي اعتبروه جميعًا طوق النجاة، ولكنهم فوجئوا بالمحامي يقول:

لا، بالعكس.. إن النيابة كجهة رسمية ستطلب من شركة الطيران موافاتها بأصل المستند.

بيد أنه توقف فجأة، فقد بدا له شيء، فقال محذرًا:

يجب أن نضع في الاعتبار أن هذا ليس دليلا قاطعًا أمام النيابة، فقد فكرت في أنه يمكن لهذا الرجل أن يكذب ويدعي مثلا أنه كان سيسافر لزيارة عمته وهي مريضة،

ثم ماتت قبل ميعاد السفر.

فلما شاهد علامات الاحباط قد انتابت وجوه الأصدقاء، أردف قائلا :

ولا يعني ذلك أن الدليل ضعيف، ولكنني أقصد أننا يجب متابعة المجرمين.. حتى نكمل الأدلة، ولن يأتي لنا ذلك إلا لو استطعنا مراقبة المشتركين في المؤامرة حتى تستكمل حلقات اكتشاف الجريمة.

غادر الجميع مكتب المحامي وكان لديهم حماس شديد، فقد اقتنع الجميع بأن هناك خيطًا في أيديهم للقبض على المتآمرين في الجريمة..

قال حمدي بعد تفكير عميق:

إن الشبهات كلها تدور حول الوريث محسن، فمن المؤكد أن له علاقة بمحمد النقيب..

فاتفقوا جميعًا على أن يبدأ الأولاد الأربعة فورا بمراقبة الوريث محسن، قبل أن يستكمل إجراءات الميراث، ويحول الثروة إلي ألمانيا، والذي استطاع عادل الطحلاوي المحامي الحصول علي عنوان الشقة المفروشة التي ينزل فيها بمصر من رجال المباحث.

واستمرت مراقبة الأصدقاء الأربعة للوريث محسن عبد اللطيف أربعة أيام كاملة، وكان الأمر الغريب والذي يبعث على الدهشة أن كل تصرفاته لا تنم عن شيء يثير الشك.. الأمر الذي جعل الأصدقاء الأربعة يحارون في أمره.. فقد أمضى اليوم الأول في زيارة طويلة لأهرمات الجيزة، واستمر هناك حتى الظهر، ثم ذهب لتناول الغداء في فندق هيلتون، واضطر الأصدقاء إلي تناول الغداء في الفندق..

كان كل منهم يجلس إلي منضدة بمفرده حتى لا يشك الرجل بوجودهم، أما في الليل ففوجئوا به يذهب إلي دار الأوبرا لمشاهدة عرض (بحيرة البجع)، فاضطروا إلي شراء أربعة تذاكر لقضاء السهرة بالأوبرا.

وتكررت زياراته في أماكن سياحية مختلفة.. فاضطر الأصدقاء إلي مراقبته، الأمر الذي جعلهم يتكبدون مصاريف باهظة.

وما إن انتهوا من مراقبته في اليوم الرابع، وتأكدوا كعادتهم أنه عاد إلي شقته آخر الليل، حتى صاح جاسر في حنق وضيق:

إن الرجل يتصرف وكأنه سائح جاء يتنزه في مدينة القاهرة، فقال طلال في تبرم:

لقد اضطرنا الرجل إلي أن ننفق ما يزيد على الألفي جنيه في أربعة أيام.

فقال وليد في راحة:

الحمد لله أنه سيسافر لمدة ثلاث أيام للغردقة، فقد دخل شركة سياحة يحجز في رحلة الغردقة لمدة ثلاثة أيام.

ولكن حين التقى الجميع في اليوم الخامس بشقة حمدي، وحضرت لمياء وهادية وسميحة معهم، إذا بجاسر يبادر الجميع قائلا في حماس:

لقد وضعت يدي على مفتاح جديد لحل هذا اللغز:

فسأله حمدي في دهشة:

مفتاح جديد؟!

جاسر:

نعم لا شك أننا قد توصلنا إلي نقطة هامة، وقد أهملناها بعد وفاة المرأة.

صاح وليد في دهشة:

ما هي؟

فالتفت ناحية هادية وقال:
ألم تستنتجي يا هادية بخبر وفاة المرأة مباشرة أنها كانت ضحية، وأنها كانت لا تعرف حتى أن هناك من وضع العشرين ألف جنيه باسمها ليمهد الطريق للسرقة، لأنها لو كانت تعرف لما تكبدت كل هذا العناء في العلاج من خلال مستشفيات التأمين وزيادة المعاش الضئيل.
فأومأت هادية برأسها وقالت مؤكدة:
نعم.. لكن..
فقاطعها قائلا:
ما دامت المرأة لا تعرف ذلك، فمن المؤكد أن هناك من وضعها في حسابها الجاري، وعندما سألت أحد أصدقائي يعمل بأحد البنوك المصرية أخبرني بأن من يودع نقودا بالبنك له أو لغيره يحصل البنك على بيانات المودع بنفسه.
فصاحت لمياء.
عظيم يا جاسر يا لها من فكرة، فمعني ذلك أنه يمكننا الحصول على بيانات من أودع للمرأة بالبنك لفتح حساب جاري ليتم تحويل رصيد الحاج فاضل إليه.

فعقب طلال في حماس:
هذا سيكون أول دليل ملموس أمام النيابة.
فأسرع حمدي واتصل بمنزل عادل الطحلاوي المحامي، ولكن فوجئ بسفره إلي الخارج لمدة أربعة أيام في قضية ضد مجرم هارب خارج البلاد.
فلما أخبر حمدي والده الحاج فاضل بذلك، لجأ الأب فورًا إلي صديقه عزت الجاهلي، ليتصل بقريبه رئيس البنك..
وظلوا جميعًا ينتظرون، فكما توقع جاسر وهادية.. فالمرأة لم تضع المبلغ بنفسها، ولكن وضعه باسمها رجل يدعي عبد المنعم سيد البهنساوي يقطن في شارع البغدادي المتفرع من ميدان عابدين.
صاح وليد وهو لا يصدق:
لقد اقتربنا بذلك من العثور على أحد المجرمين، فمن المؤكد أنه أحد المشتركين في الجريمة.
وتساءلت لمياء في حيرة شديدة:
ألا تلاحظوا أننا قد صرنا أمام مجموعة كبيرة.. محمد النقيب والوريث، واحتمال الصحفي، وأيضًا الرجل الذي كان يرافق العجوز في المستشفيات، فإننا قد صرنا نكتشف

شريكًا جديدًا في الجريمة في كل مرة.

ولكن.. وفجأة بزغت فكرة في رأس حمدي، فترك الغرفة في سرعة، وعاد بعد دقائق وهو يمسك بيده جريدة، وجعل يمعن النظر فيها، ثم صاح فجأة:

انظروا معي في هذا الخبر، ألا تلاحظوا أن اسم الصحفي أحمد عبد المنعم سعيد، وأن الرجل الذي قام بإيداع نقود المرأة العجوز بالبنك اسمه عبد المنعم سعيد البهنساوي؟

هتف طلال في دهشة:

صحيح محتمل جدًا أن يكون الصحفي ابنه..

فأطرق الجميع يفكر، وفجأة صاح وليد:

ما رأيكم لو نتصل بالجريدة، ونسأل عن صحفي لديهم اسمه أحمد عبد المنعم سعيد، ثم نضيف كلمة البهنساوي.

وعلى الفور اتصلت لمياء بالجريدة، وسألت عن صحفي أسمه أحمد عبد المنعم سعيد البهنساوي بقسم الحوادث..

وجاءها الرد:

يوجد صحفي لدينا بهذا الاسم، ولكن غير موجود بمكتبه الآن، فأطلق الجميع صرخة الانتصار.

وهب حمدي واقفًا وصاح وهو لا يصدق:

لقد توصلنا إلي مجرمين معًا في ضربة واحدة.

اتفق الجميع على مراقبة البهنساوي بعد أن حصلوا على عنوان مسكنه. بيد أنه ما إن تركت هادية الجميع حتى خطرت ببالها فكرة: إن المراقبة للبهنساوي الأب قد تطول.. فلماذا لا تقوم هي بالحصول على أي أخبار عن الصحفي.. أحمد عبد المنعم البهنساوي، وجعلت تفكر في خطة تتيح لها دخول الجريدة، ومعرفة هذا الصحفي.. وبعد يومين اختمرت لديها فكرة في غاية البساطة، مؤداها أنه مادامت هي فتاة بحرانية، فلماذا لا تستغل ذلك في الذهاب إلي المجلة، وتطلب مسئول صفحة الحوادث، وتعرض عليه أن والدها يرغب في تأسيس جريدة في البحرين خاصة بأخبار الحوادث، وتطلب منه مساعدتها.. من خلال الالتقاء به.. وتستطيع الحصول على أي معلومات.

فأسرعت في صباح اليوم التالي، وقادت سيارتها إلي عنوان الجريدة.. ولكنها ما كادت تسأل رجل الأمن عن الصحفي أحمد عبد المنعم، إذا بالرجل يقول لها وهو لا يصدق:

غريبة.. إنه الشاب الذي مر من أمام عينيك منذ ثوان وأنت واقفة.

فتقدم زميله بضعة خطوات، وجعل يجيل النظر بين السيارات المتراصة أمام الجريدة، والتفت إليها، وقال في إلحاح وهو يشير إلي إحدى السيارات.

ها هو الأستاذ أحمد عبد المنعم إنه يتجه إلي سيارته الليموزين التي تقف هناك.

فألقت هادية نظرة سريعة نحو الصحفي، فوجدته يقف أمام سيارته، ويمد يده ليفتح بابها، فأسرعت على الفور متجه إلي سيارتها، وانتظرت لدقائق، فلما شاهدت سيارته تغادر المكان، أدارت محرك سيارتها بسرعة، وانطلقت وراءه وقد راعت أن تكون المسافة بين السيارتين كبيرة حتى لا يلاحظ الصحفي أن أحد يتتبعه.. وجعلت هادية تفكر لأول وهلة: لماذا تتبعه بسيارتها، وكان هذا الأمر غير وارد في خطتها تمامًا، إلا أنها استقرت على أن أفضل هدف عليها تحقيقه هو معرفة عنوان منزله، لتخبر حمدي وبقية الزملاء بالمكان ليراقبوه، ولكن ما إن قطعت بسيارتها خلفه بضعة كيلو مترات، حتى أدركت أنها قد

وقعت في مشكلة كبرى في المراقبة، فهي لا تعرف شوارع مصر، بل ولا تعرف أين تسير، ولكنها سرعان ما استطاعت أن تقنع نفسها بأنها عندما تعرف مسكنه، تقوم بسؤال الناس عن اسم الشارع الكائن فيه.. أو تقرأ اللافتة باسم الشارع.

وكانت سيارة الرجل قد عبرت ميدان العباسية، ووقفت في إشارة المرور لعدة دقائق، ووضعت الظروف سيارتها بجانب سيارته، فكانت منها التفاتة سريعة، وألقت نظرة على وجهه لتطبع صورته في ذاكرتها..

وانطلقت بسيارتها خلفه بعد أن انفتحت الإشارة، وراعت مرة أخري أن تكون المسافة بين السيارتين كبيرة لكي لا يلاحظ شيئًا.. واخترقت سيارته شارع صلاح سالم، وبعد أن سار لمسافة عرج يمينًا على شارع الطيران، فتمهلت لثوان قبل أن تنحرف بسيارتها خلفه، ولكن أحدث التأخر هذا مشكلة، حيث اختفت سيارته تمامًا. فزفرت في غيظ، وشعرت أن كل شيء قد ضاع فجأة، فاضطرت إلي مواصلة سيرها على غير هدي.. لا تعرف عن أي شارع تسأل، إلا أنها وجدت سيارة الصحفي تظهر فجأة، خارجة من

شارع جانبي.. فتنفست الصعداء مرة أخري، وداست على دواسة البنزين.. ومضت فترة من الوقت وهي تسيروراءه، والسيارتان تسابقان الريح.. وفجأة عرج بسيارته يمينًا، فلم تتردد في أن تعرج بسيارتها خلفه، فألفت نفسها تسير بسيارتها في منطقة صحراوية تخلو من المباني والبشر تمامًا، ولا يوجد أمامها سوي سيارته، فصارعتها عدة أفكار هل تخفض من سرعة سيارتها، أم تقف وتعود أدراجها مرة أخري لتتخلص من هذا المطب.. وبينما كانت في شرودها فوجئت بسرعة سيارته تهبط تمامًا.. حتى اضطرت إلي أن تجانبه بسيارتها.. وهنا حدث ما لم تتوقعه إطلاقًا.. فوجئت به يصوب إليها مسدسه..

×××

ارتعدت فرائص هادية، واقشعر بدنها.. وكادت تصاب بشلل تام لم تستطع معه السيطرة على عجلة القيادة، لثوان، ولكنها سرعان ما استجمعت كل شجاعتها، وضغطت على البنزين بقوة، ولكنها ما إن تجاوزت سيارته وسارت لدقيقتين فقط بسرعتها الفائقة حتى ألقت نظرة سريعة على المرآة الجانبية، وشاهدة سيارته تتراجع، فأدركت أن هناك عطلا أصاب سيارته، فأوشكت على أن تتوقف، فتنهدت في ارتياح لنجاتها..

ولكنها ما أن ألقت نظرة على الطريق حتى وجدته يمتد بلا نهاية.. فازدادت حيرتها ورعبها، فربما كان هذا طريقًا صحراويًا لا نهاية له، فقد يدركها الصحفي ويقتلها في هذا الخلاء، بيد أنها ما إن سارت لدقيقة أخري، حتى لاح لها من بعيد منزل من طابق واحد.. كان هو الوحيد في المنطقة، فتنفست الصعداء أخيراً.. فاقتربت على الفور من البيت، وغادرت سيارتها بسرعة، وأخذت تجري وهي تلهث.. ثم صعدت إلي الطابق الأول، ووضعت يدها علي الجرس ولم تتركه. وكانت تلهث من فرط الجري والرعب،

وخشية ألا يكون أصحابه موجودين.. فهي آخر فرصة للنجاة..

وفجأة ترامي إلي إذنيها صوت يقول:

من بالباب؟

فقالت وأنفاسها تعلو على صوتها نفسه من فرط الرعب:

أنا افتح أرجوك بسرعة..

وفتح الباب رجل عجوز طويل القامة، لم تتحقق من ملامحه بادئ الأمر.. وما كاد الرجل يفتح فمه ليتحدث، حتى دخلت وأغلقت الباب خلفها.

وقالت للرجل في توسل شديد، من بين أنفاسها المتلاحقة:

أرجو أن تغثني يريد أن يقتلني..

ولكنها ما كادت تحدق في وجه الرجل جيدا حتى توقفت تفكر لثوان معدودة، فشهقت في هلع، وندت عنها صرخة عالية، فقد كان الرجل طويل القامة.. أشيب الشعر، أبيض، يغطي جبهته بالكامل نتوء.. فأدركت على الفور أنه هو الرجل الذي كان يرافق جميلة عبد اللطيف حسب ما ذكرته الممرضات.. معني ذلك أنها وضعت نفسها في

أخطر مأزق مع المجرم..

تسمرت هادية في مكانها، وهي تنظر إلي الرجل في رعب هائل، بينما جعل الرجل يصوب إليها نظرات تنم عن حقده وكره شديدين.

فتساءلت هادية رغم الرعب الذي اعتراها: لماذا ينظر إليها الرجل هذه النظرة المليئة بالحقد والكراهية، بالرغم من أنه يشاهدها لأول مرة، ولا يعرف شيئًا عنها.

وفجأة انفتح باب الشقة، وما كادت هادية ترفع وجهها لتشاهد من القادم، حتى أصيبت بذهول شديد، أوشكت معه أن تقع مغشيًا عليها من فرط الرعب، فقد فوجئت بالصحفي أحمد عبد المنعم يقف أمامها.

بادر الرجل مخاطبًا الصحفي وهو يشير إلي هادية:

ها هي البنت لولا اتصالك بي من تليفونك المحمول لانخدعت فيها.

أومأ الصحفي برأسه، وقال يخاطب الرجل ويثبت عينه على هادية:

لقد اتصل بي الجماعة، وأخبروني بأن البنت تراقبني منذ مغادرتي الجريدة.

فتغيرت أسارير وجه الرجل العجوز، ووضح عليه الخوف، فأردف الصحفي قائلا في زهو وتحد:

ولكنني استطعت أن اسحبها بسيارتها حتى هنا، وها هي قد وقعت في الشرك الذي نصبته لها، فلم تجد ملاذًا غير هذا البيت، فهي لا تعرف أنه بيتنا.

مرت لحظات صمت رهيبة.. وكان الرجل والشاب ينظران إلي هادية في ريبة وحيرة:

وبدأ للرجل شيء فتساءل:

ولكن كيف عرفت أن..

فقاطعه الصحفي بإشارة من يده وهو يقول:

كفي يا أبي لا تتكلم..

فتضاعف ذهول هادية، بعدما فوجئت بأن الرجل هو البهنساوي والد الصحفي.

واقترب الرجل من الصحفي وقال وهو يرقب هادية في ريبة:

وماذا سنفعل يا بني في هذه التهمة، إنها..

قاطعه الصحفي قائلا وهو يغادر الصالة:

سأتصل بهم لأعرف منهم ما هو العمل:

فانتاب هادية رعب هائل، فقد خشيت أن يقتلاها، وجعلت تفكر في أي وسيلة تنقذها من هذا المأزق الخطير، ففكرت في أن تطلق صرخات مدوية، بيد أنها شعرت بأنها لو أقدمت على ذلك، فلن يتورعا عن قتلها.

خيم الصمت على المكان تمامًا، فصار الجو وكأنه ينذر بخطر عظيم سيحدث وأخيراً.. عاد الصحفي وقال لوالده:

لقد طلبوا منا أن نقيد وثاقها إلي أن تصلنا منهم كلمة أخرى.

وتوقف، وألقي نظرة سريعة غاضبة على هادية، ثم وضع يده خلفه وبسرعة أخرج مسدسه، وقال لوالده وهو يصوب المسدس نحو هادية:

يجب أن تسارع بتوثيقها، فلا وقت لدينا فربما يصدر إلينا أمر بالهرب أو..

وسكت فجأة، وأطلق تنهيدة عميقة في غيظ، وأردف مخاطبًا هادية بلهجة آمرة:

هيا.. دعي حقيبة يديك هذه وامتثلي للأمر.

أسرع الأب إليها واستطاع بالرغم من شيخوخته توثيقها

بقوة..

وظلت هادية موثوقة في مكانها لمدة.. كانت خلالها تشعر أن حتفها قد أوشك، وهو معلق على أمر يصدر إلي الصحفي.

إلا إنه ما أن مرت ثلاث ساعات كاملة، إذا بجرس الباب يرن، فظنت هادية أنه أحد أفراد العصابة، ولكنها فوجئت بالرجلين وقد ظهرت عليهما أمارات الدهشة، وتبادلا معا نظرات القلق والتوجس تساءل الأب في دهشة وبصوت مرتفع:

غريبة من بالباب.

فجاء صوت رجل من الخارج:

الكهرباء.. قراءة العداد..

فشهقت هادية وفكرت في أن تصرخ وتستغيث بالرجل، فلا يوجد أمامها حل سواه، إلا أنه ما إن قام الصحفي ليفتح، إذا بها تسمع صوتًا يقول:

قف ولا حركة.

وفي أعقاب ذلك انطلقت صرخات عالية، وحدثت في أثرها جلبة شديدة، وأسفر ذلك عن ظهور مجموعة من الرجال،

وفي أثرهم ظهر حمدي، وفي أعقابه وليد وجاسر، ثم ظهر طلال والحاج فاضل.

جعل الحاج ينظر حوله في لهفة، وعندما وقعت عينه على هادية، أسرع إليها وهو يقول في لهفة:

هادية الحمد لله على سلامتك يا ابنتي.

كانت هادية تنظر حواليها وهي في حالة ذهول، ثم أجهشت في البكاء من فرط المفاجأة، واستسلمت للحاج وهو يفك وثاقها.. وجعلت تنظر حولها وكأنها في حلم، فشاهدت أمامها عددًا كبيراً من الشباب كانت شاهدت بعضهم في الحي الذي يقطن فيه حمدي.. راح البعض منهم يساهم في حمل الصحفي وأبيه بعد أن قاموا بتوثيقهما بالحبل.

وبعد أن غادر الجميع المنزل، اتجهوا إلي السيارات التي كانت تنتظرهم، وفتح إحداها بعض الشباب ووضعوا فيها البهنساوي وابنه الصحفي.

وقاد حمدي سيارة هادية التي جلست في الخلف إلي جانب الحاج فاضل، والي جانبه جلس جاسر.. بينما كان وليد وطلال يركبان في سيارة حمدي.

سألت هادية وهي لا تصدق ما حدث:

ولكن كيف عرفتم أنني هنا؟؟

فأطلق جاسر ضحكة عالية وقال:

هذه حكاية غريبة يا هادية، فعندما ذهبت لمراقبة منزل البهنساوي حسب العنوان الذي حصلنا عليه من البنك اتضح أنه العنوان الذي كان على بطاقة هويته الشخصية فقط، إنما الحقيقة أنه ترك هذا البيت منذ عامين، ولكن أقبل أحد جيرانه، وقال: إنه قد تقابل مع البهنساوي بالمصادفة في عنوانه الحالي.

فشهقت هادية وقالت في حيرة:

ولكنه عنوان غريب لا يمكن وصفه..

أردف جاسر قائلا:

وعندما ذهبنا لنسأل عن الصحفي، قال لنا رجل من رجال الأمن: إنه شاهد فتاة تسأل عنه، وذهبت وراءه بسيارتها، ولما سألناه وصفك لنا، وعلي الفور ذهبنا لاقتفاء أثره حسب العنوان الذي وصفه لنا جاره السابق، فلما فوجئنا بسيارتك على الباب، أدركنا على الفور أنهم احتجزوك بالداخل، فاتصل حمدي من سيارته بوالده الذي جمع

شباب المنطقة، فأسرعوا جميعًا لإنقاذك.

ولم تصدق هادية نفسها، وهي تفاجئ بأهل الحي جميعًا يستقبلونها عندما غادرت السيارة استقبال الأبطال، وقد راحت النساء جميعًا يستقبلنها بالأحضان.

عاد الأصدقاء الأربعة، بعدما سلموا مع شباب الحي البهنساوي وابنه إلي قسم شرطة الجمالية.. وساد شعور بين الجميع بالارتياح بعد أن قبضوا على أخطر فردين في العصابة، وأنهما بلا شك سيعترفان على باقي المتآمرين.

بيد أنه ما أن أقبل المساء، وبينما كان الأصدقاء مجتمعين في منزل الحاج فاضل إذا بالمحامي عادل الطحلاوي يقبل فجأة، وقد كانت أسارير وجهه تنم عن الحزن والوجوم الشديد. لقد استطاع محامي الوريث أن يأخذ له حكمًا سريعًا بإعلام الوراثة، فسأله حمدي في حيرة ولهفة:

والمتهمان اللذان قبضنا عليهما ماذا حدث؟

أجاب المحامي في أسي:

لقد انتهي كل شيء، وقام الوريث بتحويل رصيد المرأة إلي حسابه الموجود بأحد بنوك ألمانيا، وسافر اليوم..

× × ×

كانت مفاجأة مذهلة راح الجميع ينظرون إلي بعضهم البعض، وقد انتابتهم حالة من الذهول التام، فعندما اقتربوا من تحقيق الأمل وظهور الأدلة الواضحة على أخطر مجرمين، يستطيعان الهروب من تهمة مؤكدة بهذه السهولة، فسأل وليد وهو لا يصدق:

ولكن كيف استطاعا الهروب من التهمة، مع أن جريمة الأب ثابتة تمامًا من خلال بياناته الموجودة بالكامل بالبنك، والتي تثبت أنه هو الذي أودع المبلغ للتمهيد لتحويل الرصيد إلي حساب المرأة.

وعقب طلال في دهشة وحيرة:

وهل هي مصادفة أيضًا أن من نشر خبر وفاة المرأة يمهد للوريث للحضور إلي مصر هو ابن هذا الرجل؟!!

تنهد المحامي في عمق وقال في أسى بالغ:

لقد قال الرجل إنه أودع العشرين ألف جنيه بنفسه في حساب المرأة، لأنه كان جارها منذ خمسين عام، فلما قابلها بالصدفة وهي كبيرة واستطاع أن يعاونها وهي جارته منذ الطفولة في ظروفها هذه، فأودع باسمها العشرين الف

جنيه التي ادخرتها في البنك، لأنها كانت في حالة لا تسمح لها بالذهاب إلي المستشفيات عندما أصابتها نوبة القلب، وقد حضر ثلاثة من الجيران القدامي، وشهدوا أمام رئيس المباحث بأن الرجل كان فعلا جارها.

خيم الحزن والحيرة على الجميع.. وأطرق المحامي في حزن شديد، ثم أردف قائلا بصوت متهدج ممزوج بالسخرية:

أما نشر الصحفي للخبر، فقال: إنه حصل عليه من رجال البنك، عندما كذب عليهم وادعي أنه من رجال المباحث، وأن هذا اضطرار منه لإنجاح مهمته كصحفي.

فشعر الأصدقاء باليأس الشديد، وأن أمامهم مجموعة من المجرمين تتميز بالخبث المقرون بالذكاء الخارق:

تساءلت هادية وقد بزغت لديها فكرة فجأة:

ما دام الإعلام الوراثي صدر باسم محسن هذا، وصار الرصيد كله ملكه، ولا يشاركه فيه أحد، فمعني ذلك أن محمد النقيب لم يتزوج المرأة، فأمن وليد مؤكدًا على كلامها: فعلا مع أن كل تصورنا هو أن محمد النقيب قد فعل ذلك ليتزوج المرأة لتكون الثروة كلها في يده.

تدخل طلال قائلا في حيرة:

ألم يلفت نظركم نقطة غريبة، بل في غاية الغرابة.
فسألته لمياء في دهشة: نقطة غريبة ما هي؟
طلال: لماذا يفتح البهنساوي حسابًا باسم المرأة ليحول محمد النقيب رصيد شركة الحاج فاضل إليه، ليتحول هذا الحساب إلي وريثها بعد وفاتها، ثم يشاركون الميراث، فلماذا كل هذا اللف الطويل، مع أنه كان يمكن أن يفتح حسابًا باسم البهنساوي مثلا، ويتقاسمه هو ومحمد النقيب؟
تدخلت سميحة قائلة: فعلا ففتحه حساب باسم المرأة، إنما يتوقف على وفاة المرأة، ومن كان يضمن أن المرأة ستموت ليتقاسم هو والبهنساوي المبلغ مع الوريث.
ما إن قالت سميحة ذلك حتى انتفض حمدي واقفًا، وقال وقد بزغت في رأسه فكرة فجأة: إن هذا يؤكد أمرًا في غاية الخطورة، هو أن المرأة قد ماتت قتيلة.. ارتسمت على وجوه الجميع المفاجأة، فلما تطلعوا إليه متسائلين، أردف قائلا: نعم إن المرأة قد قتلت، ودليل ذلك أن الوريث قد حجز قبل وفاتها بأسبوع على الطائرة إلي مصر.. من يدريه أنها ستموت، ويؤكد ذلك أنهم لم يفتحوا حسابًا باسم أي منهم لأنه سيضطر إلي تقديم الدليل للسبب في

تحويل المبلغ إليه وهذا مستحيل.. أما التحويل لحساب المرأة، فإن معرفتهم بأنهم سيقومون بقتلها، حتى لا يطالب أحد وريثها بعد موتها بتقديم سبب للتحويل لحسابها.

وخيم الصمت والتفكير على الجميع في هذا الأمر الذي لم يخطر ببالهم من قبل.

قال جاسر في لهجة تأكيد: فعلا ما دامت خطتهم قائمة على وفاتها، فإنه لا يعرف أحد ميعاد الوفاة، إلا لو كانت ستحدث نتيجة للقتل. فأسرع عادل الطحلاوي المحامي وقام بإبلاغ النيابة بالأمر، وعلى الفور أصدر وكيل النيابة أمر بتشريح جثة المرأة.. ولم يمض سوي يوم واحد، حتى أظهر التشريح وفاة المرأة نتيجة للقتل بدواء لا يظهر مفعوله بسرعة.. أحدث خبر وفاة المرأة نتيجة للقتل صدى خطيراً لدي المحامي عادل الطحلاوي، فقال للجميع بعدما اجتمع بهم: لقد اتضح الآن وجود جريمة قتل أمام النيابة.

قالت سميحة في لهفة: معني ذلك أن الأمل في استعادة أموال والدي المغتصبة قد عاد..

المحامي: طبعا يا ابنتي الأمل صار كبيراً، فلا تنسوا أن

هناك جريمة.. وجريمة قتل.

بيد أن طلال قال بلهجة امتزج فيها الشك بالحيرة: ولكنني أخشى أن يكون شيء قد فاتنا..

المحامي: ما هو؟

طلال: لا شك أن من له مصلحة في قتل المرأة هو الوريث، فالمرأة عمته، فكيف يقتلها، كما أنه موجود بألمانيا ولديه عشرات الأدلة على أنه لم يأت القاهرة منذ ثلاثين عام إلا بعد وفاتها، والتأشيرات التي على جواز السفر تثبت ذلك، وأيضًا قد يدعي أن المرأة تناولت هذا الدواء بالخطأ أو.. قاطعه حمدي في لهفة: أو ماذا؟

فأردف طلال: أو يدعي أن الذي قتلها يعيش في مصر، وله مصلحة في ذلك، وطبعًا هو الحاج فاضل أو شركاؤه..

فسرت بين الجميع همهمات الاستهجان وعدم التصديق، واعترضت سميحة غير مصدقة: ماذا تقول يا طلال هل يمكن هذا؟

ولكن أطرق المحامي يفكر لثوان ثم قال: هذا الأمر وارد يا ابنتي، فبعدما تأكدنا من أنهم مجرمون بل وقتلة، ففي دنيا الجريمة يكون من الطبيعي جدا أن يلقوا التهمة على

الآخرين. فماذا تنتظرين من لص قاتل؟
تنهدت لمياء وقالت في حسرة وحيرة: قد تعقد الأمر مرة ثانية، فعندما كنا نبحث عن لصوص، صرنا نبحث عن قاتل.
وسادت فترة من الصمت كان الكل يفكر وهو في حيرة شديدة، ولكن قطع حمدي الصمت قائلا: إن الأمر لم يتعقد، وبل يسير في اتجاه واحد..
فلما تعلقت أفكار الجميع به في شغف، أردف قائلا:
نعم، فنحن قد وصلنا إلي نقطة خطيرة قد تقودنا إلي الحصول على الدليل على المجرمين، وهي أن الذي قتل المرأة هو من له المصلحة في قتلها، فهذا أمر بديهي أمام النيابة، فلو أثبتنا جريمتهم فبالتالي سيعترفون بقتل المرأة..
فتدخل المحامي وقال في حيرة وحسرة:
هذه نقطة رائعة ولكن كيف؟
حمدي: لو تابعنا سيناريو الجريمة التي ارتكبوها، فقد يهدينا إلي الخطوة القادمة المنتظرة منهم..
فقاطعه وليد وقال وهو لا يصدق:

سيقدمون على ماذا يا حمدي؟ وهل هناك شيء بعد القتل والسرقة، وقد قاموا بتنفيذهما؟

ولكن حمدي أردف مفسرًا: إن هؤلاء المجرمين الذي ارتكبوا الجريمة لم يرتكبوها لمجرد أن يؤول نصيب المرأة لوريث، بل ليشاركوا فيه، ولن يتم توزيع هذه الأنصبة ..إلا بعد ارتكاب الجريمة والحصول على المسروقات والمسروقات تمت، فالخطوة القادمة والتي من المؤكد حدوثها أن الوريث سيوزع الأنصبة على باقي شركائه حسب الاتفاق، وهذا سيظهر من حركة كشف حسابه في البنك بألمانيا.

أطرق طلال يفكر لثوان، ثم قال مؤكدًا: فعلا، لا يمكن أن يعطيهم أنصبتهم عملات ورقية، فنصيب كل منهم لن يقل عن العشرين مليون جنيه، وهذا لن يتم إلا بشيك باسم كل منهم أو بتحويل بنكي.. وفي الحالتين تظهر أسماؤهم..

صاح وليد في حسرة: ولكن كيف يمكن مراقبة حسابه ببنوك ألمانيا.

حمدي: مادام قد حول رصيده من بنك هنا، فنستطيع من

هذا البنك معرفة الحساب المحول إليه ببنك ألمانيا.

وسادت فترة صمت وراح يفكر في الأمر، وقطع الصمت المحامي قائلا : لا تنسوا أنهم لا يعرفون أن النيابة توصلت إلي جريمة القتل، بل يعرفون أن المباحث نفسها اقتنعت وتأكدت أن البهنساوي هو جار المرأة، وأن ما قام به الصحفي هو إجراء قانوني، وبذلك هم يتصورون أن الأمر انتهي.. وهذا سيجعلهم يطالبون بأنصبتهم، وتوقف ثم أردف وكأنه يحدث نفسه : أما محمد النقيب فإن اختفاءه هو اللغز نفسه..

ولكن قال طلال في حماس : لا، بل سيكون محمد النقيب هو مفتاح العملية نفسه..

فلما نظر إليه الجميع في تساؤل ولهفة أردف قائلا : إن محمد النقيب هو الشخصية الوحيدة المختفية، وهو بالطبع قد اختفي حتى يكون بعيدًا عن رجال المباحث والنيابة حتى تتم العملية، وقد يختفي بعدها لمدة طويلة، ثم يظهر وربما أنه داخل مصر.

وبالتالي سيحول إليه الحساب داخل مصر.. فهنا نستطيع أن نضع أيدينا عليه، وانتهي الجميع بذلك إلي أن الحل

الوحيد الذي أجمعوا عليه، هو إثبات أدلة الجريمة من خلال كشف حساب الوريث محسن، واستطاع عادل الطحلاوي المحامي التوصل إلي اسم البنك الألماني، ورقم الحساب باسم محسن أحمد عبد اللطيف المحول إليه رصيد المرأة، بما يتيح للسلطات المصرية طلب كشف حساب للاطلاع عليه.. بيد أنه وبذكاء شديد استطاع باسم شقيق جاسر والمقيم بألمانيا العثور على صورة لحركة كشف الحساب الخاص بمحسن منذ بداية العام وحتى تم تحويل رصيد المرأة إليه..

ولكن لم تظهر صورة الكشف تحويل أي رصيد لأحد في مصر.. كان التحويل الظاهر لرجل فى أبى ظبي يسمي زيدان عبد الحميد الدمنهوري.

فعلق جاسر في حيرة: كما تصورت سيحتاط هذا الرجل.

ولكن قال حمدي في شك، وهو يمعن في قراءة الكشف:

انظروا إن اسم الرجل زيدان عبد الحميد الدمنهوري هذا قد تكرر مرتين، مرة في مصر، ومرة في أبى ظبي، والشواهد تقول: إن محسن أحمد هذا ليست له تعاملات مع مصريين.. وهذا اسم رجل مصري.

فسألته سميحة في حيرة: ماذا تعني؟

حمدي: أعني أن هذا الرجل مؤكد هو أحد الشركاء في الجريمة..

وبمجرد أن علم المحامي بالأمر، أسرع وأخذ صورة من جواز سفر زيدان عبد الحميد الدمنهوري الموجود في البنك المحول إليه المبلغ، فما إن وقعت عينا حمدي وسميحة على الصورة التي على الجواز، حتى صاحا في ذهول:

إنه محمد النقيب نفسه..

× × ×

كان العثور على محمد النقيب بمثابة الحل السحري، فقد ظهرت أما النيابة جريمة تزوير في مستندات شخصية، وأهمها جواز السفر نفسه، والأهم من كل ذلك وضوح الدليل القانوني لتحويل المبلغ من ألمانيا قبل العملية وبعدها.

فلما أخبرت وزارة الداخلية بمصر المسئولين فى الداخلية بأبي ظبي بالموقف، قاموا على الفور بإرساله إلي القاهرة، فوجد نفسه أمام رجال المباحث. فاضطر إلي الاعتراف بأن الجريمة تمت بشكل جماعي، مجرد إعطاء دواء يسرع بالموت، ولا يظهر إلا عند التشريح الجثة، وهو دواء أرسله محسن من ألمانيا مع البهنساوي، والذي كان على صلة قوية به، وقد سافر إليه ليخبره بأنه يريد سرقة أموال الشركة الطائلة، والتي أخبرهم بها محمد النقيب صاحب البهنساوي القديم.

وبعد اعتراف محمد النقيب وباقي المتآمرين اضطر حمدي وأصدقاؤه إلي السفر، ليبدأ الدراسة بالكلية.